الفصل الثالث

الطبيعة الإنسانية فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم

الصفحة

أولاً : خلق الإنسان فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم ٨٦

١ - مفهوم الخلافة فى التفسير بالمأثور . ٨٧

٢ - مراحل خلق الإنسان فى التفسير بالمأثور. ٩١

٣ - الإنسان والنفس فى التفسير بالمأثور . ٩٨

ثانياً : تكامل الطبيعة الإنسانية فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم . ١٠٣

١ - الجسد ١٠٤

٢ - العقل ١٠٨

٣ - القلب ١١٢

٤ - الروح ١٢٠

ثالثاً : تكريم الإنسان فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم . ١٢٧

١ - تمكين الإنسان من الإقامة على الأرض . ١٢٧

٢ - تسخير المخلوقات البعيدة عن متناول يده . ١٢٨

٣ - تكريم الإنسان فى ذاته . ١٣١

٤ - ايجاد الرزق وتذليل مصادره . ١٣٥

obeikandi.com

فتح القرآن الكريم والسنة النبوية بما حوياه من مبادىء وأصول إسلامية مجالات للفكر الانسانى المتنوع ، كما وضعا القاعدة والمنطلق للاجتهادات الغنية ، فكانت الفكرة الإسلامية هى قدر الأمة ونسيج وجودها الذى لايمكن إغفاله أو تجاهله ؛ لأنه يشكل جذور الأمة ومكونات شخصيتها ومسارها الحيوى عبر الزمان .

أمام توازن الفكرة الاسلامية أتى الفكر الإسلامى جامعاً بين الدين والدنيا ، شاملاً للحياة ومابعدها ، متكاملاً فى مفاهيمه وتجلياته فى نسيج واحد هو جسم الفكرة الإسلامية .

ولم يكن للفكرة الإسلامية أن تنجح لولا ماصاحبها من فكر تربوي ، يقوم على مبادئها ، وينبع من مصادرها ، وأدى تعامل الفكر مع هذه المعطيات والمبادىء إلى إيجاد فكر تربوى متكامل متوازن ، فلقد اعتمد الفكر التربوى الاسلامى على القرآن الكريم والسنة ؛ لأنهما يعنيان بتربية الموجودات كلها بما فى ذلك تربية الانسان الذى هو مادة التربية الخام متعلماً ومعلماً ، وذلك بالتعامل مع الشخصية الانسانية ذات المميزات الواضحة تعاملاً يرتكز على أسس من الفهم الكامل للطبيعة الانسانية بكل جوانبها وفى كل حالتها .

ومن هذا المنطلق تتجه الدراسة فى هذا الباب إلى مصادر الفكرة الاسلامية من خلال التفسير بالمأثور للقرآن الكريم لاستجلاء ماحواه من مبادىء أساسية عن الطبيعة الإنسانية .

أولاً : خلق الإنسان فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم : -

خلق الله سبحانه وتعالى الأرض والسماء ، ودحى الأرض فأخرجت ما دان مودعاً فيها من المياه فنبتت النباتات على اختلاف أنواعها وأشكالها ، قال تعالى : "أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاها ، اخرج منها ماءها ومرعاها" . (النازعات : ٢٧ : ٣١) .

ثم خلق الله الإنسان الذى أخبر عنه ملائكته ، قال تعالى : "وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة" (البقرة : ٣٠) ، وفى التفسير بالمأثور لقوله "..... إنى جاعل" عن الحسن البصرى وقتادة قالا : إنى فاعل.(١) بينما قال آخرون إنى خالق ، كما جاء فى رواية أبى روق قال كل شيىء فى القرآن جعل فهو خلق"(٢) .

١ - مفهوم الخلافة فى التفسير بالمأثور : -

يمكن توضيح مفهوم الخلافة فى التفسير بالمأثور من خلال تفسير الآيات التى تضمنت هذا المفهوم ، ففى قوله تعالى : "إنى جاعل فى الأرض خليفة" تناول الطبرى المفهوم لغوياً : "أى مستخلف فى الأرض خليفه، والخليفة فعيلة من قولك خلف فلان فلاناً فى الأمر إذا قام مقامه فيه بعده" ، ثم ذكر التفسير بالمأثور للأية عن الحسن البصرى : "إنى جاعل فى الأرض خليفة هم ولد آدم الذين يخلفون أباهم ويخلف كل قرن منهم القرن الذى سلف قبله"(٣) .

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون" (يونس : ١٤) عن قتادة : "ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : صدق ربنا ماجعلنا خلفاء إلا لينظر كيف أعمالنا ، فأروا الله من أعمالكم بالليل والنار والسر والعلانية"(٤) ومعنى الأية - كما ذكره الطبرى - أنه أبدلكم فى الأرض منهم، وجعلكم من بعدهم، وهم المشركون

---

(١) عن الحسن البصرى وقتادة (سنده) : "حدثنى القاسم بن الحسين قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن جرير بن خازم ومبارك عن الحسن وأبى بكر يعنى الهذلى عن الحسن وقتادة" .
- تفسير الطبرى : جـ١ ، ص١٥٦ .

(٢) عن أبى روق (سنده) : "عن المنجاب بن الحارث قال ثنا بشر بن عمارة عن ابى روق .
- نفس المرجع ، ص١٥٧ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده" .
- تفسير الطبرى : جـ١١ ، ص٦٦ .

الذين ذكرتهم الآية السابقة عليها "ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وماكانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين" (يونس : ١٣) ، وكما فى قوله تعالى : "فخلف من بعدهم خلف" (الأعراف : ١٦٩) .

ومما ورد فى التفسير بالمأثور من أسباب النزول عن أبى العالية قال : "مكث النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين خائفاً(*) يدعو إلى الله سراً وعلانية قال ثم أمر بالهجرة إلى المدينة ، قال : فمكث بها هو وأصحابه خائفون ، يصبحون فى السلاح ، ويمسون فيه ، فقال رجل مايأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتغبرون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم مجتبياً ليس فيه حديدة ، فأنزل الله هذه الأية : "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً" (النور : ٥٥) (١) .

فالله قد وعد الذين آمنوا ليورثنهم أرض المشركين من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها كما فعل من قبلهم ببنى اسرائيل إذ أهلك الجبابرة بالشام وجعلهم ملوكها وساستها ليوطئن لهم ملتهم التى ارتضاها لهم .

ومن الأحاديث النبوية التى تناولت معنى الخلافة ، عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : خير الناس قرنى الذين يلونى ، ثم الذين يلونهم ، قال : ولاأدرى أقال فى الثالثة أو فى الرابعة ، ثم يخلف بعدهم خلف تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته" (٢) .

(*) بالرجوع الى كتب السيرة تبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم : "كان خروجه من مكة أول يوم من ربيع الأول وقدم المدينة لاثنتى عشرة خلت منه ، وكان مدة مقامه بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة" .
- السيد أحمد الزينى دحلان : "السيرة النبوية والآثار المحمدية" ، المطبعة الوهبية ، مصر ، سنة ١٢٨٥ هـ ، حـ١ ص١٨٢ .

(١) عن أبى العالية (سنده) : "حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية".
- تفسير الطبرى : جـ١٨ ، ص١٢٢ .

(٢) عن ابن مسعود (سنده) : "حدثنا أزهر بن سعد اخبرنا بن عون عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود .
- الامام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، جـ٦ ، رقم ٣٩٦٣ ، ص٢٩ .

وقد اختلف المفسرون الأوائل فى المراد بالخليفة هل هو أدم أم بنوه ؟ وقد مر فى تفسير الحسن البصرى لقوله "انى جاعل فى الأرض خليفة" أن قال هم ولد أدم الذين يخلفون أباهم ... الخ ، واتفق رأى ابن كثير مع ماحكاه الحسن البصرى ، اذ يقول ابن كثير فى تفسيره : "ليس المراد ههنا بالخليفة آدم - عليه السلام - فقط ، كما يقوله طائفة من المفسرين ، وفى ذلك خلاف ، "والظاهر أنه لم يرد آدم عيناً إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص أو بما فهموه من الطبيعة الانسانية"(١) .

ويؤيد ابن كثير رأيه بأن المراد بالخليفة بنى أدم بقوله : "وسؤال الملائكة "أتجعل فيها من يفسد فيها..." انما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة من ذلك وقد قال تعالى : "إنى أعلم مالا تعلمون" فى خلق هذا الصنف على المفاسد التى ذكرتموها فإنى سأجعل فيهم الانبياء ، وأرسل فيهم الرسل ، ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء والأبرار ، والمحبون له تبارك وتعالى والمتبعون رسله صلوات الله عليهم"(٢) .

أما الرأى بأن المراد بالخليفة هو أدم فيتضح فى تأويل أخر للأية : -

عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الله جل ثناؤه قال للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا ربنا ومايكون ذلك الخليفة ، قال يكون له ذرية يفسدون فى الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً"(٣) فكان تأويـــل

---

(١) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن كثير : - **تفسير القرآن العظيم** ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص٦٩ .

(٢) نفس المرجـــــع .

(٣) عن ابن عباس (سنده) : حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى فى خبر ذكره عن ابى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس .

- **تفسير الطبرى** : جـ١ ، ص١٥٦ : ١٥٨ .

الأية على هذه الرواية إنى جاعل فى الأرض خليفة يخلفنى فى الحكم بين خلقى وهو آدم ، وهذا التأويل يتفق مع ماحكى عن الحسن فى إضافة الإفساد فى الأرض وسفك الدماء إلى غير الخليفة ، إلا أنه يخالفه فى إضافة الخلافة إلى أدم بمعنى استخلاف الله إياه" .

ومن العرض السابق لما ذكر فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم فى مسألة الخلافة يتضح أن :

أ - مفهوم الخلافة فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم هو تتابع أجيال بنى أدم ، وتبديلها فى الأرض ، واستخلاف بعضهم بعضاً ، بحيث تتاح فرصة العمل للجميع لينظر الله كيف كان عملهم وقد أرسل إليهم الرسل والانبياء لهدايتهم إلى الحق ، وفى موعد لايعلمه إلا الله سبحانه سوف يحاسبهم جميعاً فيثيب من اهتدى واخلص ، ويعاقب من استمرأ الضلال وظل على غيه .

ب - لم يقبل فى التفسير بالمأثور قصر معنى الخلافة على سكنى الأرض وتعميرها وقد ورد عن ابن اسحق فى تفسير قوله "انى جاعل فى الأرض خليفة" قال : ساكناً وعامراً يعمرها" وقد رده الطبرى : "وليس الذى قال ابن اسحق فى معنى الخلافة بتأويلها ، وان كان الله جل ثناؤه إنما أخبر ملائكته إنى جاعل فى الأرض خليفة يسكنها ، ولكن معنى الخلافة ماوصفت قبلاً"[1] ويدل ذلك على أن أبا جعفر ذا الخبرة الواسعة بأقوال الصحابة والتابعين فى التفسير لم يرتض إلا أن تكون الخلافة بمعنى تتابع الأجيال وتبديلها فى الأرض .

جـ - أن القول بأن الانسان خليفة الله على الأرض لم يرد له ذكر فى التفسير بالمأثور للقرآن ، وماجاء من قبل ذلك فى التفسير بالمأثور كان قاصراً على أدم وحده باعتباره خليفة الله يحكم بين ذريته المفسدين فى الأرض ، ولم يمتد هذا المعنى ليشمل بنى أدم جميعهم .

---

(١) المرجع السابق .

٢ - مراحل خلق الانسان فى التفسير بالمأثور : -

جعل الله خلق الانسان على مراحل ، منها مراحل نموه جنيناً فى رحم الأم ، ومنها مراحل نموه مكتملاً فى الحياة الدنيا، ويذكر القرآن الكريم ذلك فى أبلغ إيجاز ، إذ يقول جل ثناؤه "وقد خلقكم أطواراً" (نوح : ١٣) ، وفى التفسير بالمأثور للأية عن مجاهد : "خلقكم أطواراً من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم ماذكر حتى يتم خلقه" ، وعن قتادة "طوراً نطفة وطوراً علقة وطوراً عظاماً ثم كسا العظام لحماً ثم أنشأه خلقاً أخر أنبت به الشعر فتبارك الله أحسن الخالقين"(١).

وأول طور خلق أدم من تراب الأرض كما يخرج النبات منها ، قال تعالى : "والله أنبتكم من الأرض نباتاً" (نوح : ١٧) ، قال الطبرى فى تفسيره والله انشأكم من تراب الأرض فخلقكم منه إنشاء.(٢)

أما وفى تفسير قوله تعالى : "ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون" (الروم : ٢٠) عن قتادة : "خلق أدم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون يعنى ذريته"(٣) .

ثم اختلط التراب بالماء ، فأصبح الماء عنصراً فى تكوين الانسان وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى "وجعلنا من الماء كل شيىء حى" (الانبياء : ٣٠) عن أبى هريرة قال: "قلت يارسول الله إنى إذا

---

(١) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن ابى نجيح عن مجاهد .

عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده .

- تفسير الطبرى : جـ٢٩ ، ص٦٠ .

(٢) تفسير الطبرى : جـ٢٩ ، ص٦١ .

(٣) عن قتاده (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده .

- تفسير الطبرى : جـ٢١ ، ص٢١ .

رأيتك طابت نفسى ، وقرت عينى، فأنبئنى عن كل شيىء ، قال صلى الله عليه وسلم : "كل شيىء خلق من ماء"(١) ، وعن قتادة قال : "كل شيىء حى خلق من الماء"(٢) .

ولما اختلط التراب بالماء أصبح طينا ، فاستخلص من الطين خلاصته، قال تعالى : "ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين" (المؤمنون : ١٢) ، وفى التفسير بالمأثور للأية عن ابن عباس قال : "من صفوة الماء" ، وقال مجاهد : من سلالة أى من منى أدم"(٣) ، وقال قتادة : "استل أدم من طين وخلقت ذريته من ماء مهين"(٤) ، وعند ابن كثير أن قول قتاده هذا أظهر فى المعنى وأقرب إلى السياق ؛ فإن أدم عليه السلام خلق من طين لازب وهو الصلصال من الحمأ المسنون وذلك خلق من التراب"(٥) .

وعن تعريف الطين اللازب ورد فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "إنا خلقناهم من طين لازب" (الصافات : ١١) ، "قال ابن عباس : هو اللزج الجيد ، وعن مجاهد وسعيد بن جبير هو الجيد

---

(١) عن أبى هريرة (سنده) : "قال ابن ابى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد عن قتادة عن أبى ميمونة عن أبى هريرة .

- تفسير ابن كثير : حـ٣، ص١٧٧ .

(٢) عن قتادة (سنده) : "عن ابن عبد الأعلى قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة" .

- تفسير الطبرى: حـ١٧ ، ص١٦ .

(٣) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن أبى يحيى عن ابن عباس .

(غريبه) : "السلالة هى المستلة من كل تربة أخذت من أديم الأرض .

- تفسير الطبرى : حـ١٨ ، ص٦ .

(٤) عن قتادة (سنده) : "عن الحسن قال اخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة .

- نفس المرجـــع .

(٥) تفسير ابن كثير : حـ٣ ، ص٢٤٠ .

الذى يلتزق بعضه ببعض ، وقال قتاده : هو الذى يلزق باليد ، وإنما وصفه جل ثناؤه باللزوب لأنه تراب مخلوط بماء"[1] .

وهكذا تبين من خلال التفسير بالمأثور للأيات القرآنية التى ذكرت خلق أدم عليه السلام أنه قد خلق من الطين الذى تكون نتيجة امتزاج تراب الأرض بالماء .

وبعد أن خلق الله أدم بالأطوار السابقة ، خلق حواء زوجته من نفسه ، ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها" (الاعراف : ١٨٩) عن قتادة : "يعنى بالنفس الواحدة أدم عليه السلام"[2] .

وقوله تعالى "ليسكن إليها" أى ليألفها ويسكن بها ، وهى كقوله جل ثناؤه "ومن أياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة" (الروم : ٢١) وفى هذا عن ابن عباس وعن مره عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا : خرج ابليس من الجنة ، وأسكن أدم الجنة فكان يمشى فيها وحشى ليس له فيها زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه إمرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها من أنت ؟ قالت : إمرأة ، قال : ولم خلقت ؟ ، قالت : لتسكن إلىّ ، فقالت له الملائكة ينظرون مابلغ من علمه : ماسمها ياأدم ؟ قال : حواء ، قالوا : ولم حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيىء حى[3] ، ومصداق ذلك قوله تعالى : "ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء"(النساء :١) .

---

(١) انظر : تفسير الطبرى : حـ٢٣ ، ص٢٨ .
تفسير ابن كثير : حـ٤ ، ص٣ .

(٢) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة .
- تفسير الطبرى : حـ ٩ ، ص٩٧ .

(٣) عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود (سنده) : "عن السدى عن أبى صالح وأبى مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود" .
- أبو الفداء اسماعيل بن كثير : البداية والنهاية ، دار الفداء العربى ، ط ٢ ،١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، حـ١ ، ص٨٧.

وعن طريق التزاوج بين آدم وحواء جاءت ذريته ، قال تعالى : "فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين" (الاعراف: ١٨٩)، والحمل الخفيف هو أول الحمل لاتجد المرأة له ألما ، وقوله "فمرت به" عن مجاهد قال : استمر حملها[١] .

وبهذه الطريقة تناسل بنو آدم وكثروا ، قال تعالى : "وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين" (السجدة : ٧ ، ٨) وفى التفسير بالمأثور للأية الكريمة عن قتادة : "وبدأ خلق الانسان من طين وهو خلق أدم ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين والسلالة هى الماء المهين الضعيف"[٢] ، وعن مجاهد : "من ماء مهين" قال "ضعيف ، نطفة الرجل"[٣] .

وهنا تتجلى قدرة الله العزيز المبدع الذى خلق الانسان ، بكل ماحباه به من ملكات عقلية وقوى جسمانيه من هذه النطفة من الماء الضعيف ، فكان لزاماً على كل إنسان ان يتأمل ويتفكر فى هذا ، ليصل إلى أعمق مواطن العظة والاعتبار ، ويلمس أعظم أيات الإعجاز الإلهى ، حتى يرجع عن غروره وضلاله ، فيعمل من أجل كسب رضا الله استعداداً ليوم الحساب ، وهذا مادعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن بشر بن جحاش قال : إن رسول الله الله صلى الله عليه وسلم بصق يوماً فى كفه فوضع عليها اصبعه ، ثم قال : "قال الله تعالى : "يابنى أدم أنىّ تعجزنى

---

(١) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى محمد بن عمر قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن ابى نجيح عن مجاهد .

- **تفسير الطبرى** : جـ٩ ، ص٩٧ .

(٢) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده .

- **تفسير الطبرى** : جـ٢١ ، ص٦٠ ، ٦١ .

(٣) عن مجاهد (سنده) : "عن الحرث قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن ابى نجيح عن مجاهد .

- نفس المرجع .

وقد خلقتك من مثل هذه ، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين برديك، وللأرض منك وئيد(*) ، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقى قلت : أتصدق، وأنى أوان الصدق؟"(١) .

ثم يكمل القرآن الكريم ذكر مراحل خلق الانسان ، بتصوير الجنين وهو فى رحم الأم التى لاتراه ولاتعلم عنه شيئاً ، قال تعالى : "ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" (المؤمنون : ١٣ ، ١٤) .

ومن تفسير القرآن الكريم بالقرآن نفسه باعتباه أول مصادر التفسير بالمأثور فسرت "النطفة" فهى كما قال تعالى : "ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب" (الطارق : ٦ ، ٧) وعن عكرمة : "هو ماء مدفوق يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة"(٢) ، وقال عكرمة فى تفسير الأية السابقة (المؤمنون : ١٣) والقرار المكين هو رحم المرأة الذى مكن لذلك وهيىء له ليستقر فيه إلى بلوغ أمره"(٣).

"والعلقة حمراء مستطيلة قال عكرمه : وهى دم ، والمضغة من اللحم لاشكل فيها ولاتخطيط، وقوله تعالى : "فخلقنا المضغة عظاماً" يعنى شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها"(٤) .

(*) الوئيد : المشية المتمهلة البطيئة دليل الاختيال والغرور .

(١) عن بشر بن جحاش (سنده) : "ثنا أبو المغيرة ثنا جرير ثنى عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر ابن جحاش" .

- الامام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ،

(٢) عن عكرمة (سنده) : "حدثنى ابن المثنى قال ثنى سلم بن قتيبة قال ثنى عبد الله النعمانى الحدانى عن عكرمة" .

- تفسير الطبرى : جـ٣ ، ص٩٢ .

(٣) عن عكرمة (سنده) : نفس السند السابق .

- تفسير الطبرى : حـ١٨ ، ص٧ .

(٤) تفسير ابن كثير : جـ٣ ، ص٢٤٠ .

ومن تفسير القرآن الكريم بقول النبى صلى الله عليه وسلم باعتباره المصدر الثانى من مصادر التفسير بالمأثور ، فسرت "النطفة " أيضاً ، عن عبد الله بن مسعود قال : مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه ، فقالت قريش يايهودى ان هذا يزعم أنه نبى ، فقال : لأسألنه عن شيىء لايعلمه إلا نبى . قال : فجاء حتى جلس فقال : يامحمد مم يخلق الانسان ؟ ، فقال : يايهودى من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة ، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب ، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم. فقال: هكذا كان يقول من قبلك"(١) .

وبعد اكتمال شكل الجنين ينفخ فيه الروح ، كما يوضح التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ثم انشأناه خلقاً آخر" عن ابن عباس قال : "نفخ الروح فيه"(٢) ، وعن عكرمه والشعبى ومجاهد وأبى العالية والضحاك مثل تفسير ابن عباس ، وكلها أوردها الطبرى فى تفسيره . كما ذكر ابن كثير نفس هذا التفسير للأية الكريمة قائلاً واختاره ابن جرير الطبرى(٣) .

ويذكر الرسول صلى الله عليه وسلم نفخ الروح بعد اكتمال شكل الجنين وهو مازال فى رحم الأم فى حديثه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : "حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الصدوق أن أحدكم ليجمع خلقه فى بطن أمه اربعين يوماً ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : رزقه ، وأجله، وعمله ، وهل هو شقى أو سعيد.."(٤) .

---

(١) عن عبد الله بن مسعود (سنده) : "حدثنى حسين بن الحسن ثنا أبو لدينه عن عطاء بن السائب عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابيه عن عبد الله .

- تفسير ابن كثير : حـ٣ ، ص٢٤١ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال اخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس .

- تفسير الطبرى : حـ ١٨ ، ص٨ .

(٣) تفسير ابن كثير : حـ٣ ، ص٢٤١ .

(٤) عن عبد الله بن مسعود (سنده) : "حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن يزيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود.

- الامام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، حـ٥ ، رقم ٣٦٢٤ ، ص٢٢٣ .

ويستمر الحمل إلى أن يأذن الله بموعد ولادة الطفل ، قال تعالى : "ونقر فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى" (الحج : ٥) ، فنوع الجنين إن كان ذكراً أو أنثى ومدة بقائه بالرحم وموعد ولادته كلها أمور من الغيبيات التى يتفرد الله بعلمها ولايعلم عباده بها إلا وقت يشاء ، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله وكل بالرحم ملكاً فيقول أى رب نطفة ، أى رب علقة، أى رب مضغة ، فإذا أراد الله خلقها قال أى رب ذكر أو أنثى ؟ شقى أو سعيد ؟ فما الرزق؟ ومالأجل ؟ قال فذلك يكتب فى بطن أمه"(١) .

وبعد ولادة الطفل فى موعدها المحدد يبدأ أطوار حياته مكتملاً فى الحياة الدنيا ، قال تعالى: "ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم" (الحج : ٥) فالطفل يخرج من رحم الأم اذا بلغ الأجل الذى قدره الله لذلك ، ويكون صغيراً ضعيفاً فى بدنه وسمعه وبصره وحواسه وعقله ، ثم يعطيه الله القوة شيئاً فشيئاً ويلطف به حتى يبلغ كمال عقله .

"واختلف أهل التأويل فى الحين الذى إذا بلغه الانسان قيل بلغ أشده عن زيد بن أسلم عن ابيه قال : "إذا بلغ الحلم"(٢) ، وعن مجاهد عن عامر قال : "الأشد الحلم حيث تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات"(٣) أى تتكامل قواه وتتزايد ، فيصل الى عنفوان الشباب وحسن المنظر .

"ثم إنكم بعد ذلك لميتون" (المؤمنون : ١٥) ، وهنا تنتهى حياة الانسان فى الدنيا ، حين يحين أجله المسمى ، فمن الناس "ومنكم من يتوفى" اى يموت فى حال شبابه وقوته ، "ومنكم من يرد إلى

---

(١) عن أنس (سنده) : "قال الحافظ أبو بكر البزار ثنا أحمد بن عبده ثنا حماد بن يزيد ثنا عبد الله بن أبى بكر عن أنس.
- **تفسير ابن كثير** ، حـ٣ ، ص٢٤١ .

(٢) عن زيد بن أسلم (سنده) : "حدثنى أحمد بن عبد الرحمن قال ثنى عمى قال ثنى عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه .
- **تفسير الطبرى** : حـ٨ ، ص٦٣ .

(٣) عن مجاهد عن عامر(سنده) : "حدثنى الحمانى قال ثنا هشيم عن مجاهد عن عامر .
- نفس المرجـــع .

أرذل العمر" فيبقى حياً ليعيش الشيخوخة والهرم، والضعف فى القوة والعقل والفهم، وتناقص الاحوال من الخرف وضعف الفكر، ولهذا قال تعالى: "لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً" (الحج : ٥)، ثم يموت بعد ذلك فى موعد أجله، وتعد الآية السابقة تفسيراً لقوله جل ثناؤه: "الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوه ضعفاً وشيبة يخلق مايشاء وهو العليم القدير" (الروم : ٥٤) .

وهكذا تتبع التفسير بالمأثور أطوار خلق الانسان ومراحل حياته ، من خلال آيات القرآن الكريم التى وصفت تفصيلاً أطوار نمو الجنين داخل رحم الأم ، حتى اكتماله وبلوغ الموعد المحدد لولادته ، فيخرج إلى الدنيا طفلاً غاية فى الضعف ، ويعطيه الله من القوى حتى يزول ضعفه وتكتمل قوته فى مرحلة شبابه ، فينتقل مرة ثانية الى حالة الضعف والوهن ، وذلك فى مرحلة الشيخوخة والهرم إلى أن يحين أجله المقدر ، وهو فى كل هذا محل اختبار وبلاء ، حيث ترصد أفعاله وتسجل أقواله وتدون حسناته وسيئاته حتى يحين موعد الحساب والجزاء .

ويلخص القرآن الكريم لحياة الانسان بكل أطوارها ومراحلها ، فى منتهى الايجاز والبلاغة، فى أية كريمة تضيف روعة اللفظ والأسلوب ، إلى دقة المعنى والمضمون ؛ ليؤديا فى النهاية الى المعنى الواسع لعظمة الخالق وقدرته المبدعة ، وذلك فى قوله تعالى : "هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون" (غافر : ٦٧) .

٣ - الانسان والنفس فى التفسير بالمأثور : -

كرم الله الانسان فى صورته وخلقه ، ووهبه كل الأدوات والحواس التى تعينه على الحياة فى الأرض ، والتى تعطيه القدرة على أن يسيطر على كل ماسخره الله لنفعه فى هذا الكون الفسيح ، ثم أنعم عليه بالقدرة على التمييز بين الخير والشر ، وغرس فى نفسه الاستعداد لكل منهما ، وأعطاه الحرية والارادة على أن يختار بينهما ، موضحاً له مسئوليته عن هذا الاختيار أمام الله.

والانسان ورد ذكره فى آيات القرآن الكريم بلفظة "إنسان" فى واحد وسبعين موضعاً ، منها قوله تعالى : "فلينظر الانسان مما خلق" (الطارق : ٥) ، "خلق الانسان ، علمه البيان" (الرحمن ٣ ، ٤) ، كما ذكرت لفظة انسان وقصد بها أدم عليه السلام فى ثلاثة مواضع منها قوله تعالى : "ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون" (الحجر ٢٦) .

كذلك ذكر الإنسان فى أيات القرآن الكريم بلفظة "نفس" وقصد بها الانسان ككل ، كما فى قوله تعالى : "واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون" (البقرة : ٤٨) "وفسرت هذه الأية بالقرآن فى قوله تعالى : "ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده ولامولود هو جاز عن والده شيئاً" (لقمان : ٣٣) [١] "ويدل تفسير الأية الكريمة على ان "نفس" الأولى قصد بها انسان و "نفس" الثانية قصد بها انسان أخر ، ثم الضمير فى "ولاهم ينصرون" يعود إلى جمع القوم .

كما يظهر ذلك فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "واذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم" (البقرة : ٥٤) : "عن أبى عبد الرحمن قال : عمدوا إلى الخناجر فجعل يطعن بعضهم بعضاً" [٢] ، فالأنفس هنا بمعنى الأشخاص من البشر .

وكما فسرت "النفس" فى آيات القرآن الكريم بمعنى الانسان عامة ، فقد وردت بمعنى أكثر خصوصية يدل على ذات معينة ومن ذلك :

---

(١) تفسير ابن كثير : حـ١ ، ص٨٩ .

(٢) عن أبى عبد الرحمن (سنده) : "حدثنى محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن أبى اسحق عن أبى عبد الرحمن .

- تفسير الطبرى : حـ١ ، ص٢٢٧ .

- فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد" (آل عمران: ٣٠)، قال ابن كثير : "فسرت "نفس" الأولى بالقرآن الكريم فى قوله تعالى : "ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر" (القيامة : ١٣)[١] ، أى أن نفس الأولى بمعنى الانسان عامة ، أما فى تفسير الثانية "نفسه" قال الطبرى : "يحذركم الله من نفسه أن تسخطوها عليكم بركوبكم مايسخطه عليكم"[٢] .. أى يحذركم الله ذاته المقدسة .
- وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى ، واصطنعتك لنفسى" (طه : ٤٠ - ٤١) ، عن قتادة : واصطنعتك لنفسى أى أنعمت عليك ياموسى هذه النعم ومننت عليك هذه المنن اجتباء منى لك واختياراً لرسالتى والبلاغ عنى"[٣] فدلت "نفسى" هنا على ذات الله العالية .
- وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة" (النساء : ١) ، عن قتادة خلقكم من نفس واحدة يعنى أدم عليه السلام ، وعن مجاهد والسدى مثله"[٤] .

فدلت "نفس" هنا على ذات معينه هى أدم عليه السلام .

---

(١) تفسير ابن كثير : حـ١ ، ص٣٥٧ .

(٢) تفسير الطبرى : حـ٣ ، ص١٥٥ .

(٣) عن قتاده (سنده) : "حدثنى الحسن بن يحيى قال اخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة" .
- تفسير الطبرى : حـ١٦ ، ص١٢٨ .

(٤) عن قتاده (سنده) : "حدثنى بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتاده" .
- تفسير الطبرى : حـ٤ ، ص١٥٠ .

- وفى تفسير قوله تعالى : "يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها" (النحل : ١١١) قال ابن كثير : يوم تأتى كل نفس تحاج عن ذاتها ، ليس أحد يحاج عنها لاأب ولاابن ولاأخ ولازوجه"[١] .

وذكرت "نفس" الأولى بمعنى العمومية للناس جميعاً ، بينما فى "نفسها" معنى الخصوصية لذات الانسان نفسه .

- وفى تفسير قوله تعالى : "وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم" (البقرة :٨٤) قال قتادة : لاتسفكون دماءكم أى لايقتل بعضكم بعضاً ، ولاتخرجون أنفسكم من دياركم ، ونفسك ياابن أدم أهل ملتك"[٢] .

وفى تفسير قتادة للأيه تظهر شمولية معنى النفس لبنى آدم .

وذكرت "النفس" فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم بمعنى الروح كما يتضح فى تفسير قوله تعالى : "إن الذين كذبوا بأياتنا واستكبروا عنها لاتُفتّح لهم أبواب السماء" (الأعراف : ٤٠) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجى أيتها النفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب ، اخرجى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان ، قال فيقولون ذلك حتى يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ، فيقولون فلان فيقال مرحباً بالنفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب ، ادخلى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء التى فيها الله.."[٣] .

---

(١) تفسير ابن كثير : حـ٢ ، ص٥٨٨ .

(٢) تفسير الطبرى : حـ١ ، ص٣١٢ .

(٣) عن أبى هريرة (سنده) : "حدثنى أبو كريب قال حدثنا عثمان بن عبد الرحمن عن ابن ابى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء بن يسار عن أبى هريرة .

- تفسير الطبرى : حـ ٨ ، ص١٢٩ : ١٣٠ .

وذكر نقيضه للنفس الخبيثة : عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ".. وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجى أيتها النفس الخبيثة التى كانت فى الجسد الخبيث ، اخرجى ذميمة ، وابشرى بحميم وغساق وأخر من شكله أزواج فيقولون لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء ، فيستفتح لها فيقول من هذا فيقولون فلان ، فيقولون لامرحباً بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة ، فإنه لاتفتح لك أبواب السماء ، فترسل بين السماء والأرض فتصير إلى القبر"(١) .

وذكرت النفس بمعنى الروح أيضاً في التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون" (الانعام : ٩٣) قال ابن كثير فى تفسيره : "ذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال وغضب الرحمن فتتفرق روحه فى جسده ، وتعصى وتأبى الخروج ، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم : أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون.."(٢) ، وقال أبو جعفر الطبرى فى تفسيرها : "وإنما ذلك أمر من الله على ألسن رسله الذين يقبضون أرواح هؤلاء القوم من أجسامهم بأداء ماأسكنها ربها من الأرواح إليه وتسليمها إلى رسله الذين يتوفونها"(٣) .

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة نحواً من أربعين ، قال : أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ قال : قلنا : نعم ، قال : أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ فقلنا : نعم ، فقال : والذى نفس محمد بيده ، إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ، وذاك أن الجنة لايدخلها إلا نفس مسلمة ، ومأأنتم من أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء فى

---

(١) عن ابى هريرة (سنده) : نفس السند السابق .

- نفس المرجع .

(٢) تفسير ابن كثير : حـ٢ ، ص١٥٧ .

(٣) تفسر الطبرى : حـ٧ ، ص١٨٣ .

جلد الثور الأسود.."[1] ففى قوله صلى الله عليه وسلم "نفس محمد بيده" ، قصد بلفظة "نفس" الروح ، وفى قوله "أن الجنة لايدخلها إلا نفس مسلمة" قصد بلفظه "نفس" الانسان ككل ، وقد يكون المقصود بها الروح أيضاً . والله أعلم .

وهكذا يتضح من استقراء التفسير بالمأثور للآيات القرآنية التى ورد فيها لفظ "النفس" أنها جاءت على عدة معان هى : -

أولاً : بمعنى الذات الإلهية .

ثانياً : بمعنى آدم باعتباره أبو الانسانية .

ثالثاً : بمعنى بنى أدم أو الانسان بصفة عامة .

رابعاً : بمعنى مكون من مكونات الذات الانسانية ألا وهو الروح .

ومن ثم يمكن النظر إلى النفس على أنها الانسان أو إحدى مكوناته ولذا يلزم دراسة مكونات الذات الانسانية أو النفس البشرية .

ثانياً : تكامل الطبيعة الإنسانية فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم :

يقدم القرآن الكريم صورة متكاملة للطبيعة الإنسانية، فلا يفضل جزءا منها على الآخر ، بل يبين أنها جميعاً بتعدد وظائفها يعين بعضها البعض على آداء وظيفة الإنسان على الأرض وهو تعميرها وعباده الله وحده .

---

(١) عن عبد الله بن مسعود (سنده) : "حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة ، ويحيى عن شعبة عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود .

- الامام احمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، حـ٦ ، رقم ٤١٦٦ ، ص٩٩ .

والقرآن لايفصل بين أجزاء الطبيعة الإنسانية إلا حين يتحدث عن وظيفة هذا الجزء أو ذاك ، وفيما يلى تعريف بمكونات الطبيعة الإنسانية من خلال التفسير بالمأثور للقرآن الكريم لاعلى سبيل الفصل بينها وإنما لتأكيد تكاملها وإعانة بعضها البعض فى آداء وظيفة الإنسان فى الحياة ، وفى تحقيق الهدف من وجوده بها .

أ - الجســـــد :

الجسد من مكونات الطبيعة الإنسانية وجزء من الذات البشرية ذكر ذلك فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ومأأرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ، وماجعلنا هم جسدا لايأكلون الطعام وماكانوا خالدين" (الأنبياء : ٧ ، ٨) .. فقد قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه ومأأرسلنا قبلك يامحمد رسولا إلى أمة من التى خلت قبل أمتك إلا رجالا مثلهم ويقول للجاهلين أمر الرسل الذين كانوا من قبل محمد فلم يعلموا أمرهم إنساً كانوا أم ملائكة اسألوا أهل الكتاب عن ذلك . ثم يقرر أن الرسل السابقين كانوا بشراً لاملائكة وكانوا أجساداً تأكل الطعام كسائر البشر" ، وفى التفسير بالمأثور للأية الكريمة عن الضحاك : "يقول جعلناهم جسداً فيها أرواح يأكلون الطعام"(١) (*)

والجسد محل الروح ، يكون صالحاً إذا كان فيه روح صالح ، ويكون خبيثاً إذا كان فيه الروح الخبيث ، وذلك كما جاء فى تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : "ان الذين كذبوا بأياتنـا واستكبروا عنهـا لاتُفتّح لهم أبواب السماء" (الأعراف : ٤٠) .. عن أبي هريرة أن رسول اللـه

---

(١) عن الضحاك (سنده) : "حدثنى الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول اخبرنا عبيد عن الضحاك .

- تفسير الطبرى : جـ١٧ ، ص٥ .

(*) عرف الجسد فى معجم ألفاظ القرآن الكريم الصادر عن مجمع اللغة العربية ، ص٢٢٧ بأنه جسم جامد لايأكل ولايشرب ، ولايتفق هذا مع ماورد بالتفسير بالمأثور من أن الجسد يأكل ويشرب وفيه الروح بينما البدن هو الجسد الذى لاحياة فيه .

صلى الله عليه وسلم قال: "الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجى أيتها النفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجى أيتها النفس الخبيثة التى كانت فى الجسد الخبيث[1] .

ويهلك الجسد إذا فارقته الروح، ومما يذكر من ذلك فى التفسير بالمأثور ماقيل فى تفسير قوله تعالى : "فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك أية" (يونس : ٩٢) ، لما أمر الله البحر فأطبق على فرعون وجنوده لم يصدق بنو اسرائيل بغرق فرعون فدعا موسى ربه فأخرجه فنبذه البحر حتى استيقنوا بهلاكه ، عن مجاهد : "فاليوم ننجيك ببدنك قال بجسدك" وعن ابن عباس وآخرين مثله ، ويقول ابن جرير فإن قال قائل وماوجه قوله ببدنك .. وهل يجوز أن ينجيه بغير بدنه ، قيل كان جائزاً أن ينجيه بهيئته حيا كما دخل البحر .. لذا قيل ينجيك ببدنك ليعلم أنه ينجيه بالبدن بغير روح ولكن ميتا"[2] فالبدن هو الجسد الذى لاروح فيه ولاحياة .

وذكر الجسد بلفظة الجسم فى موضعين فقط بالقرآن الكريم : الأول يتضح فيه أهمية الجسم للانسان فى الحياة وفى السيادة والقوة . وذلك فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم" (البقره : ٢٤٧) .. عن السدى قال : لما كذّبت بنو اسرائيل بشمعون وقالوا له ان كنت صادقاً فابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله أية من نبوتك ..، دعا شمعون الله فأتى بعصا تكون مقدارا على طول الرجل الذى يبعث فيهم ملكا ، فقال لهم ان صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا ، فقاسوا أنفسهم بها فلم يكونوا مثلها ، وكان طالوت رجلا سقاء يسقى على حمار له ، فضل حماره فانطلق يطلبه فى الطريق ، فلما رأوه دعوه فقاسوه بها فكان مثلها ، فقال لهم نبيهم إن الله قد بعث طالوت لكم ملكا قال القوم ماكنت أكذب منك

---

(١) عن ابى هريرة رضى الله عنه (سنده) : "حدثنى أبو كريب قال حدثنا عثمان بن عبد الرحمن عن ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء بن يسار عن ابى هريرة" .

- **تفسير الطبرى** : حـ٨ ص١٢٩ : ١٣٠ .

(٢) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى ابن وكيع قال حدثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد **تفسير الطبرى** : جـ١١ ، ص ١١٤ .

الساعـة ونحن من سبط المملكـة وليس هو من سبط المملكة ولم يؤت سعة من المـال فنتبعـه لذلـك ، فقال النبى ان الله اصطفاه وزاده بسطة فى العلم والجسم[١] ، ولم يصدق طالوت أنه قد تميز على قومه بما أنعم الله عليه من العلم والزيادة فى طول جسمه رغم فقره وتدنى نسبه ، عن وهب بن منبه قال : ... ، فقال أن الله قد بعثك ملكاً على بنى اسرائيل قال : أنا ، قال : نعم قال أو ماعلمت أن سبطى أدنى أسباط بنى إسرائيل قال: بلى قال : أفما علمتَ أن قبيلتى أدنى قبائل سبطى قال: بلى ، قال أما علمت أن بيتى أدنى بيوت قبيلتى قال : بلى ، وقال لبنى اسرائيل أن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال: إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم.[٢]

والموضع الثانى : فى قوله تعالى : "وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة..." (المنافقون : ٤) فسر ابن جرير هذه الأيه - دون ذكر أقوال مأثورة - قائلاً: واذا رأيت هؤلاء المنافقين يامحمد تعجبك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن صورها وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطق الناس بينما كأنهم أخشاب مسندة لاخير عندهم ولافقه لهم ولاعلم وانما هم صور بلا أحلام وأشباح بلا عقول[٣] .

ويعتبر هذا تأكيدا للفكرة التى ذكرها عبد الفتاح جلال فى كتابه "الأصول التربوية فى الإسلام" ، اذ تتضح النظرة التكاملية لمكونات الطبيعة الانسانية فى هاتين الأيتين ففى الأولى لم تكن البسطـة فى الجسم وحدهـا سبب سيـادة طالـوت بـل اقترن بها البسطة فى العلـم الذى اكتسبـه

---

(١) عن السدى (سنده) : "حدثنى موسى بن هارون قال حدثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى .
- **تفسير الطبرى** : جـ٢ ، ص٣٧٩ .

(٢) عن وهب بن منبه (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسماعيل عن عبد الكريم عن عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه" .
- **تفسير الطبرى** : جـ٢ ، ص ٣٧٨ .

(٣) تفسير الطبرى : جـ٢٨ ، ص٦٩ .

بعقله الذى أنعم الله به عليه ، وفى الأية الثانية لم يكن كمال الأجسام وحده سببا لثقة الرسول واطمئنانه إلى هؤلاء المنافقين إذ خلت عقولهم من العلم وقلوبهم من الإيمان(*) . ومن الملاحظ ان ذكر الجسم فى الموضعين السابقين كان متعلقاً بمعنى القوة البدنية فى الانسان .

أوصى الله بالحرص على سلامة أعضاء جسم الإنسان فى أيات القرآن الكريم مما يدل على عدم احتقارها أو الاستهانه بها ، فمن قتل إنسانا أو أساء إلى عضو من أعضاء جسمه أو جرحه وجب عليه القصاص فى مثل مالحق الضرر .. وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص" (المائدة : ٤٥) ... عن قتادة قوله وكتبنا عليهم فيها قال أى فى التوراة أن النفس بالنفس .. حتى بلغ والجروح قصاص بعضها ببعض.(١) .. أى أن هذا قد نزل فى اليهود ولكنها علينا واجبة ، فعن الحسن فى تفسير قوله تعالى : "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" (المائدة : ٤٤) قال نزلت فى اليهود وهى علينا واجبة.(٢) ..

وبلغ من تكريم أعضاء جسم الإنسان أنها ستصير شهوداً تشهد عليه يوم الحساب ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "حتى إذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون" (فصلت : ٢٠) ..عن قتادة قال حتى إذا ماجاؤا النار شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به فى الدنيا إليه ويستمعون له ، وأبصارهم بما كانوا يبصرون بها وينظرون اليه فى الدنيا، وجلودهم بما كانوا يعملون"(٣) .

---

(١) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده" .

- **تفسير الطبرى** : جـ ٦ ، ص١٦٨ .

(٢) عن الحسن (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال اخبرنا هشيم عن عوف عن الحسن" .

- **تفسير الطبرى** : جـ٦ ، ص١٦٦ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده" .

- **تفسير الطبرى** : جـ٢٤ ، ص٦٨ .

(*) (نظر: عبد الفتاح جمال : سمة الرؤوس التربوية فى الاسلام ، مرجع سابق ، ص٢٥ .

فالآذان والعيون والجلود سوف تشهد يوم الحساب على ماكان الإنسان يعمله فى الحياة الدنيا، وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسير قوله تعالى : "يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون" (النور : ٢٤) .. "إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال له هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا ، فيقال أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول أتحلفون فيحلفون ثم يصمتهم الله وتشهد ألسنتهم ثم يدخلهم النار[1] "اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون" (يس : ٦٥) .

ويتضح مما سبق أن الجسد من مكونات الذات الإنسانية ذكره الله فى آيات القرآن الكريم بلفظى الجسد والجسم حياً ، وذكره بلفظة البدن فى حالة الموت ، كما ورد فى ذكر بعض أعضائه فى مواضع كثيرة بالقرآن كالعين والأذن والأنف واليد والرجل ، وفى مواضع أخرى ذكرت وظائف هذه الأعضاء كالبصر والسمع واللمس والمشى .

واهتم الإسلام بالجسد فلم يهمله ، ومايذهب إليه البعض من احتقار الجسم غير وارد فى الإسلام ، بل كان الحرص علي سلامة أعضائه واضحاً فى التحذير من إلحاق الضرر أو الإساءة إليها ، وبلغ تكريم جسم الإنسان درجته العظمى حين جعل الله أعضاءه تنطق يوم القيامة بما عمله واكتسبه فى الحياة الدنيا ، ولو كذّب الإنسان جيرانه وأهله فى شهادتهم يوم الحساب فستكون أعضاؤه أصدق الشاهدين عليه .

٢ - العقـــــل :

من صور تكريم الله للإنسان أن اختصه بنعمة العقل فتميز بها عن سائر المخلوقات ، ووظيفة العقل هداية الإنسان إلى الإيمان بالله تعالى عن طريق التأمل والتفكير فى أيات الله ودلائل قدرته التى تملأ الكون حول الانسان ، وأقرب مثال منها إليه هو ذاته نفسها .

---

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (سنده) "حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرنا عمرو عن دراج عن ابى الهيثم عن ابى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" .

- **تفسير الطبرى** : حـ١٨ ، ص٨٤ .

ومن التفسير بالقرآن لقوله تعالى : "وفى أنفسكم أفلا تبصرون" (الذاريات : ٢١) أن قرأ ابن زيد قول الله تبارك وتعالى : "ومن أياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون" (الروم : ٢٠) ثم قال وفينا أيات كثيرة هذا السمع والبصر واللسان والقلب لايدرى أحد ماهو أسود أو أحمر، وهذا الكلام الذى يتلجلج به ، وهذا القلب أى شيىء هو إنما هو مضغه فى جوفه يجعل الله فيه العقل ، أفيدرى أحد ماذاك العقل وماصفته وكيف هو ؟.[١]

العقل لم يذكر فى القرآن كجزء مادى من مكونات الطبيعة الإنسانية ، "ولم يذكر باسمه "العقل" وانما جاء ذكره بصورة أفعاله فوردت الكلمات "عقلوه ، تعقلون ، نعقل، يعقلها ، يعقلون فى تسعة وأربعين موضعاً[٢] . فكانت النظرة إلى العقل كمفاعل يفجر الطاقات الكامنة فى الإنسان من فكر وعلم وادراك وتعقل حتى تنطلق نحو آدائها الوظيفى تحقيقا للهدف الذى خلق الإنسان من أجله وهو الإيمان بالله وعبادته .

وعن طريق العقل يكون التعقل والاقتناع فيصل الإيمان إلى القلوب ، عن أبى الضحى قال لما نزلت "وإلهكم إله واحد لاإله إلا هو الرحمن الرحيم" (البقرة ١٦٣) قال المشركون ان كان هذا هكذا فليأتنا بأية فأنزل الله تعالى ذكره : "إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ومأأنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لأيات لقوم يعقلون" (البقـرة : ١٦٤)[٣] . وفى نفس هذه الأية يذكر فى التفسير بالمأثور عن سعيد قال : سألت قريش اليهـود فقالوا حدثونا عما جاءكم به موسى من الآيات فحدثوهم بالعصا وبيده البيضـاء للناظريـن،

---

(١) قال ابن زيد (سنده) "حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ابن زيد" .
- تفسير الطبرى : جـ٢٦ ، ص١٢٦ .

(٢) عبد الفتاح جلال : من الأصول التربوية فى الاسلام ، مرجع سابق ، ص٣٧ .

(٣) عن ابى الضحى (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج قال ثنا ابن ابى جعفر عن ابيه قال حدثنى سعيد بن مسروق عن أبى الضحى" .
- تفسير الطبرى حـ٢ ، ص٣٧ .

وسألوا النصارى عما جاءهم به عيسى من الآيات فأخبروهم أنه كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله فقالت قريش عند ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ادع الله يجعل لنا الصفا ذهبا فنزداد يقينا ونقوى به على عدونا، فسأل النبى صلى الله عليه وسلم ربه فأوحى إليه إنى معطيهم فأجعل لهم الصفا ذهبا، ولكن إن كذبوا عذبتهم عذابا لم أعذبه أحدا من العالمين فقال النبى صلى الله عليه وسلم: ذرنى وقومى فأدعوهم يوماً بيوم . فأنزل الله عليه : "إن فى خلق السموات والأرض.. الأية" .. وقوله "لأيات لقوم يعقلون" يقول أنها علامات ودلالات لمن عقل مواضع الحجج، وفهم عن الله أدلته على وحدانيته، فأعلم تعالى ذكره عباده بأن الأدلة والحجج إنما وضعت معتبر لذوى العقول والتمييز دون غيرهم من الخلق إذ كانوا هم المخصوصين بالأمر والنهى والمكلفين بالطاعة والعبادة ولهم الثواب وعليهم العقاب.[1]

ومن أمثلة سوق البراهين العقلية للاقتناع بالإيمان ماذكر فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "كذلك يحى الله الموتى ويريكم أياته لعلكم تعقلون" (البقره : ٧٣) . عن عبيدة قال : "كان فى بنى اسرائيل رجل عقيم وله مال كثير فقتله ابن أخ له وجرّه فألقاه على باب ناس أخرين ثم أصبحوا فادّعاه عليهم حتى تسلح هؤلاء وهؤلاء فأرادوا أن يقتتلوا فقال ذوو النهى منهم أتقتلون وفيكم نبى الله فأمسَكوا حتى أتوا موسى فقصوا عليه القصة فأمرهم أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها فقالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين[2] وعن قتادة قال ذكر أنهم ضربوه بفخذها

---

(١) عن سعيد (سنده) : "حدثنى ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد" .

- تفسير الطبرى : جـ٢ ، ص٣٨ .

(٢) عن عبيدة (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة" .

- تفسير الطبرى : جـ٣ ، ص٢٨٤ .

فأحياه الله فأنبأ بقاتله الذى قتله وتكلم ثم مات ، كذلك يريكم الله من أياته لتعقلوا وتفهموا فتؤمنوا بالله وتتبعوا رسوله صلى الله عليه وسلم[١].

ميز الله الإنسان بالعقل على سائر المخلوقات ، فاذا الإنسان لم يعمل عقله في التفكير والتعقل والعلم ليصل إلى الإيمان بالله فقَدْ فَقَدَ هذه الميزة وتساوى بالبهائم التى لاتعرف إلا الأكل والشرب .

ذكر ابن كثير فى تفسيره : "قال ابن عباس كان الرجل فى الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زمنا فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثانى وترك الأول"[٢] وذلك فى تفسير قوله تعالى : "أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا" (الفرقان : ٤٣ ، ٤٤) ، وفيها قال أبو جعفر الطبرى ماهؤلاء القوم إلا كالبهائم التى لاتعقل مايقال لها ولاتفقه ، بل هم من البهائم أضل سبيلا؛ لأن البهائم تهتدى لمراعيها وتنقاد لأربابها"[٣] .

لذلك وصف العاقل فى التفسير بالمأثور بأنه حى ، عن الضحاك فى قوله تعالى : "لينذر من كان حيا" (يس : ٧٠) قال من كان عاقلا[٤] ..

وهكذا يتضح أن الله سبحانه وتعالى قد ميز الانسان بنعمة العقل ، ودعاه الى الاستفادة من قدرته على القيام بوظائفه العقلية المختلفة والمتاحة ، واستخدام هذه الوظائف كوسيلة للوصول الى الحقيقة التى تقود إلى الإيمان بالله وبرسله وكتبه .

---

(١) عن قتادة (سنده) : "حدث بشر قال حدثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة .
- نفس المرجع .

(٢) تفسير ابن كثير : جـ٣ ، ص٣٢٠ .

(٣) تفسير الطبرى - جـ١٩ ، ص١٢ .

(٤) عن الضحاك (سنده) : "حدث أبو كريب قال ثنا معاوية عن رجل عن ابن ابى روق عن الضحاك" .
- تفسير الطبرى : حـ٢٣ ، ص١٩ .

والمتأمل لخواتيم الأيات التالية من سورة الروم يجد أنها قد أشارت إلى بعض من الوظائف العقلية والى ماتوصل إليه بإعمالها قال تعالى "ومن أياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لأيات لقوم يتفكرون " (الروم : ٢١) "ومن أياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لأيات للعالمين" (الروم : ٢٢) ، "ومن أياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لأيات لقوم يسمعون" (الروم ٢٣) "ومن أياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لأيات لقوم يعقلون" (الروم ٢٤) ..

فقد ذكر الله بعضاً من دلائل وأيات قدرته؛ حتى يتأملها الإنسان ويتفكر ويعتبر فيعلم قدرة الله العظيم ، فإذا علمها سمع الدعوة وأطاعها، وأدرك أن الخير له فى اتباعها، فكان هذا منه تعقلاً، فالتفكر والعلم والإدراك والتعقل كلها طاقات للعقل لها أداؤها الوظيفى الذى يصل بالإنسان إلى الغاية والهدف وهو الإيمان "أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن فى ذلك لأيات لقوم يؤمنون" (الروم : ٣٧) .

٣ - القلـــــب :

ذكر القلب بالقرآن الكريم على عدة صور ومعان متكاملة، تؤدى وظائفه ، وتتبادل الوظائف مع سائر مكونات الطبيعة الإنسانية. ويمكن توضيح ذلك فيما يلى : -

القلب بمعنى العقل :

فالعقل سبيل الإنسان إلى العلم والمعرفة، وهو وسيلة فى التفقه والتفكر والتدبر واليقين والظن ، ولقد ذكر القلب فى مواطن كثيرة كمصدر ومحل لهذه الوظائف العقلية ، ففى تفسير قوله تعالى : "أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها" (الحج : ٤٦) يقول ابن كثير "أفلم يسيروا فى الأرض بأبدانهم وبفكرهم أيضاً وذلك كما قال ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر والاعتبار عن مالك بن دينار. أوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه السلام : أن ياموسى

اتخذ نعلين من حديد وعصا ثم سح فى الأرض ثم أطلب الأثار والعبر حتى يتخرق النعلان وتنكسر العصا[١] .. ويقول الطبرى فى نفس الأية : "أفلم يسيروا فى الأرض" فيتفكروا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبرهم أمرها وأمر أهلها سنة الله فى خلقه ، فيكون لهم إذا تدبروا واعتبروا وأنابوا إلى الحق قلوب يعقلون بها حجج الله على خلقه وقدرته[٢] فذكرت القلوب بمعنى العقول وسيلة التدبر والتعقل .

ويتضح ذلك أيضاً فى تفسير عبد الله بن مسعود لقوله تعالى : "ختم الله على قلوبهم" (البقرة : ٧) عن عبد الله بن مسعود قال فلا يعقلون ولايسمعون[٣] وهم لايعذرون على ذلك .

ومن ذلك أيضاً ماجاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه" (الأحزاب : ٤) عن مجاهد قال أن رجلا من بنى فهر قال إن فى جوفى قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد "وكذب".[٤] .. فذكر القلب بمعنى العقل .

ومن ذلك أيضاً ورد ذكر القلب كمحل لوظائف العقل كالعلم واليقين ، كما جاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وإذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى" (البقرة : ٢٦٠) عن ابن عباس ليطمئن قلبى "قال أعلم أنك تجيبنى إذا دعوتك"[٥] وعن

---

(١) عن مالك بن دينار (سنده) : "حدث هارون بن عبد الله ثنا سيار ثنا جعفر ثنا مالك بن دينار" .

- **تفسير ابن كثير** : جـ٣ ، ص٢٢٧ .

(٢) **تفسير الطبرى** : جـ١٧ ، ص١٢٩ .

(٣) عن عبد الله بن مسعود : "حدثنى موسى بن هارون عن عبد الله بن مسعود" .

- **تفسير الطبرى** : حـ١ ، ص٨٩ .

(٤) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى الحرث قال حدثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبى نجيح عن مجاهد" .

- **تفسير الطبرى** : حـ٢١ ، ص٧٥ .

(٥) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس" .

- **تفسير الطبرى** : حـ ٣ ، ص٣٥ .

سعيد بن جبير "ليطمئن قلبى" قال ليزداد يقينى" . وعن قتادة والضحاك مثله.[1] . ، فالقلب هنا كان موطن العلم واليقين وهى من الوظائف العقلية .

وفى قوله تعالى : "ذلك بأنهم أمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون" (المنافقون: ٣) يقول أبو جعفر الطبرى : "لايفقهون صواباً من خطأ وحقا من باطل"[2] . ، فالتفقه والعلم أيضاً من وظائف العقل لكنها انعدمت هنا بسبب الطبع على القلب باعتباره بمعنى العقل .

كذلك ذكر القلب كمحل للظن كما فى قوله تعالى : "بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء" (الفتح : ١٢) . فالظن نوع من الفكر وهو من وظائف العقل .

ومما ورد فى التفسير بالمأثور من ذكر محل القلب بمعنى العقل ، فالقلب مكانه صدر الانسان، والقرآن الكريم ذكر الصدر بمعنى العقل كما فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "بل هو أيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم" (العنكبوت : ٤٩٠) عن الضحاك : كان نبى الله لايكتب ولايقرأ وكذلك جعل الله نعته فى التوراة والإنجيل أنه نبى أمى لايقرأ ولايكتب وهى الأية البينة فى صدور الذين أوتوا العلم ، وقال أخرون عنى بذلك القرآن وقالوا بل هذا القرآن أيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم. ورأى أبو جعفر الرأى الأول أولى بالصواب لانه يتفق وسياق معنى الأيات.[3] وعلى أية حال فقد ذكر أن العلم الذى محله العقل يكون فى الصدور أى فى محل القلب .

---

(١) عن سعيد بن جبير (سنده) : "حدثنى أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبى الهيثم عن سعيد بن جبير .

- تفسير الطبرى : حـ٣ ، ص٣٥ .

(٢) تفسير الطبرى : حـ٢٨ ، ص٦٩ .

(٣) عن الضحاك (سنده) : "حدثنى الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول اخبرنا عبيد عن الضحاك" .

- تفسير الطبرى : حـ٢١ ، ص٥ .

وفى قوله تعالى : "وربك يعلم ماتكن صدورهم ومايعلنون" (القصص : ٦٩) ، يقول أبو جعفر الطبرى : "وربك يامحمد يعلم ماتخفى صدور خلقه وهو من أكننت الشيىء فى صدرى إذا أضمرته فيه، ومايعلنون يقول مايبدونه بألسنتهم وجوارحهم.[١] ولما كان اتخاذ القرار فى كتمان الأمر أو الجهر به نوع من النشاط العقلى فقد ذكر أنه فى الصدور محل القلب .

وفى قوله جل ثناؤه : "وليبتلى الله مافى صدوركم وليمحص مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور " (آل عمران : ١٥٤) يقول أبو جعفر : "ليختبر الله الذى فى صدوركم من الشك وليتبين مافى قلوبكم من الاعتقاد له ولرسوله صلى الله عليه عليه وسلم[٢] ، ولما كان الشك والاعتقاد كلاهما نوعين من الفكر وهو من وظائف العقل ، فقد ذكر أنه فى الصدور والقلوب . ومن أيات القرآن الكريم ماذكر فيه المعنيان للقلب كما فى قوله تعالي : "لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم" (التوبة : ١١٠) . عن قتادة قال " ريبة فى قلوبهم" شكاً فى قلوبهم ،إلا أن تقطع قلوبهم" قال إلى أن يموتوا[٣] .. فالاية الكريمة قد ذكرت القلب بمعنييه : الأول القلب بمعني العقل فهو موطن الشك وهذا نوع من الفكر وهو من وظائف العقل .. والثانى القلب بمعناه المادي الذى لو تقطع لمات صاحبه .

- **القلب محل الإيمان :**

فى التفسير بالمأثور لقوله تعالي : "ياأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا أمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم" (المائدة : ٤١) . عن مجاهد قال هم المنافقون[٤]، وفى

---

(١) تفسير الطبرى : حـ ٢٠ ، ص٦٥ .

(٢) نفس المرجع : جـ ٤ ، ص٩٥ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة" .
- تفسير الطبرى : جـ ١١ ، ص٢٥ .

(٤) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنى عيسى عن أبىّ ابن نجيح عن مجاهد" .
- تفسير الطبرى : حـ ٦، ص١٥١ .

رواية أخرى أن أبا هريرة قال عني بها يهودياً هو عبد الله ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله ياأبا القاسم أنهم يعلمون أنك نبى مرسل ولكنهم يحسدونك ،ثم كفر بعد ذلك، فكان هذا من ابن صوريا إيماناً برسول الله صلى الله عليه وسلم بفيه ولم يكن مصدقاً لذلك بقلبه[١]. فالإيمان لايصدر عن كلام من الأفواه وإنما هو مااستقر بالقلب .

عن عبد الله بن مسعود أن الله نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليهوسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه .. فابتعثه برسالته ، ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، [٢] .

فإذا خلا القلب من الإيمان كان قلباً مريضاً ، يذكر فى تفسير قوله تعالى : "فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة"(المائدة / ٥٢) .. عن قتادة قال هم أناس من المنافقين كانوا يوادون اليهود ويناصحونهم دون المؤمنين"[٣] ..

ومن صور مرض القلب لخلوه من الإيمان وتراكم الذنوب عليه، ماذكر فى التفسير بالمأثور لقولـه تعالى : "ختم اللـه على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم" (البقـرة : ٧) عن مجاهـد قال : "القلب مثل الكف فإذا أذنب ذنباً قبض إصبعاً حتى يقبض أصابعه كلها، وكان أصحابنا يرون أنه الران ، فالذنوب على القلب تحف به من نواحيه حتى تلتقى عليه ، فالتقاؤهـا عليه الطبع، والطبـع الختم"، وعن أبى هريرة : قال رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسلم :

---

(١) عن أبى هريرة (سنده) : "عن ابن إسحاق عن الزهرى عن أبى هريرة "
- تفسير الطبرى : حـ ٦ ، ص١٥١ .

(٢) عن عبد الله بن مسعود (سنده) : "حدثنا أبو بكر عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود .
- الإمام أحمد بن حنبل : المسند : مرجع سابق ، حـ٥ ، رقم ٣٦٠٠ .

(٣) عن قتادة (سنده): "حدثنى بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد بن أبى عروة عن قتادة .
- تفسير الطبرى : حـ ٦ ، ص١٨٠ .

"إن المؤمن إذا أذنب كان نكتة سوداء فى قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، فإن زاد زادت حتى يغلف قلبه فذلك الران الذى قال الله جل ثناؤه : "كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون" (المطففين ١٤)[١] .

فالنبى صلى الله عليه وسلم - باعتباره المصدر الثانى من مصادر التفسير بالمأثور - قام بتفسير الأية وتوضيح المقصود بالران ، وتلى ذلك اجتهاد الصحابة والتابعين فى التفسير باعتبارهم المصدر الثالث للتفسير بالمأثور ، فعن مجاهد قال : الران أيسر من الطبع ، والطبع أيسر من الإقفال والإقفال أشد ذلك كله"[٢] والران ذكر فى الأية السابقة ، والطبع ذكر فى قوله تعالى "ونطبع على قلوبهم فهم لايسمعون" (الاعراف : ١٠٠) ، والإقفال فى قوله تعالى : "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها"(محمد : ٢٤) .

القلب بمعنى النفس والذات الانسانية :

ذكر القلب فى التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم بمعنى الإنسان ككل ، ومن ذلك ماورد فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين" (الشعراء : ١٩٣ : ١٩٤) عن الضحاك قال : "نزل به الروح الأمين فتلاه عليك يامحمد"[٣] ففسر "على قلبك" بعليك يامحمد .

---

(١) عن مجاهد (سنده) " حدثنى أبو كريب قال ثنا وكيع عن الأعمش عن مجاهد" .
عن أبى هريره (سنده) : "حدثنى محمد بن يسار قال ثنا صفوان بن عيسى قال ثنا ابن عجلان عن القعقاع عن أبى صالح عن أبى هريرة .
- تفسير الطبرى : حـ١ ، ص٨٦ ، ٨٧ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) عن الضحاك (سنده) : "حدثنى الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول اخبرنا عبيد عن الضحاك" .
- تفسير الطبرى : حـ١٩ ، ص٦٨ .

وفى تفسير قوله تعالى : "أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه" (المجادلة : ٢٢) قال أبو جعفر الطبرى "أن معناه قضى لقلوبهم الإيمان ، ففى بمعنى اللام ، والمعلوم أن القلوب المراد بها أهلها فأجتزى بذكرها من ذكر أهلها" (١)

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه" (البقرة : ٢٨٣) عن الربيع قال لايحل لأحد أن يكتم شهادة هى عنده ، وإن كانت على نفسه والوالدين ، ومن يكتمها فقد ركب اثماً عظيماً" (٢) ، فالانسان كاتم الشهادة هو الآثم المرتكب للمعصية .

ومن المواضع التى ذكرت فيها القلوب وقصد بها أشخاص كثيرون ، ماجاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون" (الحشر : ١٤) عن قتادة : "تجد أهل الباطل مختلفة أهواؤهم ، مختلفة أعمالهم فقلوبهم شتى أى هم مشتتون لاختلاف أهوائهم ومعادة بعضهم بعضاً" (٣) .

وفى تفسير قوله تعالى : "واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم" (آل عمران : ١٠٣) عن قتادة : "اذكروا أيها المؤمنون إذ كنتم اعداء يقتل بعضكم بعضاً ، ويأكل شديدكم ضعيفكم حتى جاء الله بالإسلام ، فألف به بينكم وجمع جمعكم عليه وجعلكم عليه إخواناً (٤) لقد وضح التفسير بالمأثور للأيتين السابقتين أنه قصد بالقلوب الشتى الأقوام المختلفون ، وبالقلوب المتألفة الإخوان المتحابون .

---

(١) تفسير الطبرى : حـ ٢٨ ، ص١٨ .

(٢) عن الربيع (سنده) : "حدثنى المثنى قال اخبرنا اسحق قال ثنا ابن ابى جعفر عن أبيه عن الربيع"
- تفسير الطبرى : حـ٣ ، ص٩٤ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .
- تفسير الطبرى : حـ٢٨ ، ص٣٢ .

(٤) عن قتاده (سنده) : حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة .
- تفسير الطبرى : حـ ٤ ، ص٢٢ .

وممن رأى القلب بمعنى النفس من المفسرين الأوائل ماورد فى تفسير قوله تعالى : "ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه" (الأحزاب : ٤) . عن قتادة قال كان الحسن يقول كان رجل يقول : لى نفس تأمرنى ونفس تنهانى ، فأنزل الله فيه ماتسمعون[١] .

وباستقراء التفسير بالمأثور للآيات القرآنية السابقة تبين أن القلب أية من أيات معجزة خلق الانسان ، تعلن دقاته استمرار وجود الروح بالجسد فى الحياة الدنيا ، ويعلن توقفها انتقال الروح إلى العالم الآخر .

ولقد ذكر القلب فى أيات القرآن الكريم على عدة صور ومعان متكاملة تؤدى وظائفه وتتبادل الوظائف مع سائر مكونات الطبيعة الانسانية ، فالعقل سبيل الانسان إلى العلم والمعرفة ، ووسيلته فى التفكير والتدبر والظن واليقين والعلم والتفقه ، ومع ذلك فإن القلب ذكر فى القرآن كمصدر لهذه الوظائف العقلية ، فالقلوب يعقلون بها ويفقهون بها ، والقلوب هنا بمعنى العقول، فإذا طبع على القلوب ، ورانت عليها الذنوب ، فقدت قدرتها على العلم والتفقه .

ولم يقتصر الذكر على القلب كمصدر للوظائف العقلية ، بل اعتبر محل القلب وهو الصدر محلاً لهذه الوظائف، فهو محل العلم واليقين ، ومحل الشك والظن ، وفيه يضمر مالا يعلن ، ويتخذ القرار فى كتمان الأمر أو الجهر به .

والقلب مركز الايمان ومحل رسوخه ، فالايمان هو مااستقر بالقلب وصدقه العقل ، أما مايصدر عن الأفواه دون القلوب فهو النفاق وليس بإيمان. فإذا ماخلا القلب من الايمان كان قلباً مريضاً ، رانت عليه الذنوب وتراكمت حتى غطته واغلقته تماما .

---

(١) عن قتادة (سنده) : نفس السند السابق .

- تفسير الطبرى : حـ ٢١ ، ص٧٥ .

كذلك ذكرت القلوب وقصد بها الجماعة من الناس المتحابين أو المتنافرين . فالقلب ورد ذكره بمعنى النفس والذات الانسانية ككل .

٤ - الـــــروح :

تعتبر الروح مكونا من مكونات الطبيعة البشرية ، ورغم أن القرآن الكريم لم يعرف بمعناها ولم يحدد ماهيتها إلا أنها تبدو فى مكانة سامية ، فقد نسبها الله تعالى إلى ذاته العليا إذ يقول "فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين" (الحجر : ٢٩) ولهذا استحق الإنسان الكامل سجود الملائكة له تنفيذاً لأمر الله ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وأتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس" (البقرة : ٨٧) قيل القدس هو الله ، قال ابن زيد : الله القدس وأيد عيسى بروحه قال نعت الله القدس وقرأ قول الله تعالى "هو الله الذى لاإله إلا هو الملك القدوس" قال القدس والقدوس واحد.[١] ، والأية التى ذكرها ابن زيد هى (الحشر : ٢٣) .

وربما حاول بعض أهل التأويل تفسير "الروح" والوقوف على طبيعتها . ومن ذلك عن الضحاك "ونفخت فيه من روحى" قال: من قدرتى .[٢] بيد أنه لايمكن الجزم بذلك فقد بلغ الأمر بالمفسرين الأوائل أن كانوا يختلفون فى تفسير "الروح" فى الأية الواحدة ، وفيما يلى بعض الأمثلة الدالة على ذلك : -

فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ويسألونك عن الروح" (الإسراء : ٨٥) عن قتادة قال : هو جبريـــل ، وعن ابـن عبـاس قال : الـروح ملك وعن علـى بن أبى طالـب أنه قـال فى قولـه تعالـى:

---

(١) قال ابن زيد (سنده) : "حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد" .
تفسير الطبرى : حـ١ ، ص ٣٢١ .

(٢) عن الضحاك (سنده) : "حدثنى المسيب بن شريك عن أبى روق عن الضحاك .
تفسير الطبرى : حـ٢٣ ، ص١١٨ .

"يسألونك عن الروح" هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله عز وجل بتلك اللغات كلها ، يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة .(١)

وفى قوله تعالى : "يوم يقوم الروح والملائكة صفا" (النبأ : ٣٨) قال أبو جعفر : "اختلف أهل العلم فى معنى الروح فى هذا الموضع فعن ابن مسعود قال الروح ملك فى السماء الرابعة، هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة، يسبح الله كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة، يخلق الله من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يجىء يوم القيامة صفا وحده . وعن الضحاك قال الروح جبريل عليه السلام. وعن مجاهد قال الروح خلق على صورة بنى آدم يأكلون ويشربون . عن الحسن قال الروح هم بنو آدم وقال قتادة هذا مما كان يكتمه ابن عباس ، واخيراً عن ابن عباس قال يعنى حين تقوم أرواح الناس مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن ترد الأرواح إلى الأجساد.(٢) ..

---

(١) عن قتادة (سنده) : "حدثنى محمد بن الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة .

عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس

عن على بن أبى طالب (سنده) : "حدثنى على قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى أبو مرواه يزيد بن سمرة عن على ابن أبى طالب .

- تفسير الطبرى : حـ١٥ ، ص١٠٥ .

(٢) عن ابن مسعود (سنده) : "حدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال ثنا رواد بن الجراح عن ابى حمزة عن الشعبى عن علقمة عن ابن مسعود" .

عن الضحاك (سنده) : "حدثنى ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن الضحاك" .

عن مجاهد (سنده) : "حدثنى ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد" .

عن الحسن (سنده) : "حدثنى ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن" .

عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس .

- تفسير الطبرى حـ ٣٠ ، ص١٥ ، ١٦ .

وفى قوله تعالى : "يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده" (غافر : ١٥) .. قال أبو جعفر : "اختلف أهل التأويل فى معنى الروح فى هذا الموضع عن قتادة قال : الوحى من أمره ، عن الضحاك فى قوله "يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده "قال يعنى بالروح الكتاب ينزله على من يشاء ، وعن السدى قال : النبوة على من يشاء[١] .

ويظهر نفس الاختلاف فى تفسير قوله تعالى : "ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده" (النحل : ٢) ، عن ابن عباس "بالروح" يقول بالوحى ، وعن الربيع بن أنس فى قوله "ينزل الملائكة بالروح .. الأية قال : كل كلم تكلم به ربنا فهو روح منه وقرأ "وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا" (الشورى:٥٢)[٢] .. فقصد بذلك أن الروح هو القرآن الكريم .

وفى تفسير قوله تعالى : "ولاتيأسوا من روح الله" (يوسف : ٨٧) عن قتادة قال من روح الله أى من رحمة الله ، وعن السدى والضحاك مثله[٣] .

---

(١) عن قتاده (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده .

عن الضحاك (سنده) : حدثنى هرون بن إدريس الأصم قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن جويبر عن الضحاك.

عن السدى (سنده) : "حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى .

- **تفسير الطبرى** : حـ٢٤ ، ص٣٣ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس" .

عن الربيع بن أنس (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن أبيه عن الربيع بن أنس" .

- **تفسير الطبرى** ، حـ١٤ ، ص٥٤ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- **تفسير الطبرى** : حـ١٣ ، ص٣٣ .

أما فى قوله تعالى : "إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" (النساء: ١٧١) .. قال أبو جعفر "قال بعض المفسرين روح منه أى نفخة من جبريل فى درع مريم بأمر الله.. وقال بعضهم يعنى بقوله روح منه أنه كان انسانا باحياء الله له بكلمه منه: عن قتادة وكلمه ألقاها إلى مريم هو قوله كن فيكون . وفى التفسير بالمأثور وعن أبّى بن كعب رضى الله عنه فى قوله "وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم" (الأعراف : ١٧٢).. قال أخذهم فجعلهم أرواحا ثم صورهم ثم استنطقهم فكان روح عيسى من تلك الأرواح التى أخذ عليها العهد والميثاق فأرسل ذلك الروح الى مريم فدخل من فيها فحملت والذى خاطبها هو روح عيسى عليه السلام"(١).

إن الأمثلة على اختلاف أقوال المفسرين فى معنى الروح كثيرة ، ومن النماذج التى ذكرت منها تبين أن الروح فى القرآن قد ذكرت فى التفسير بالمأثور بأنها من الله وبأنها جبريل وهذا كثير.. كما فسرت بأنها ملك من الملائكة ، والوحى ، والقرآن ، النبوة ، وبأنها بنو آدم ، وخلق كبنى آدم وبأنها الرحمة والفرج من الله .. وليس هذا الاختلاف فى حقيقته إلا الاتفاق على ماجاء فى قوله تعالى : "قل الروح من أمر ربى ومأأوتيتم من العلم إلا قليلا" (الإسراء : ٨٥) ، وكان هذا الرد من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سائليه من المشركين واليهود عن الروح ، عن عبد الله بن مسعود قال : كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث بالمدينة وهى متكىء على عسيب ، قال فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح ، قال بعضهم ، لاتسألوه ، فسألوه عن الروح فقالوا : يامحمد ماالروح ؟ فقام فتوكأ على العسيب(*) ، قال : فظننت أنـــه

---

(١) عن قتادة (سنده): "حدثنى الحسن بين يحيى قال اخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة".
عن ابى بن كعب (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد قال اخبرنى أبو جعفر عن الربيع عن أبى العاليه عن ابى بن كعب "رضى الله عنه" .
- تفسير الطبرى : حـ٦ ، ص٢٥ .

(*) (العسيب : جريدة النخل المستقيمة يكشط خوصها) : المعجم الوجيز ، ص٤١٨ .

يوحى إليه ، فقال : "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وماأوتيتم من العلم إلا قليلا "قال: فقال بعضهم قد قلنا لكم لاتسألوه:[1] ، وعن ابن عباس قال : قالت قرش لليهود : اعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل ، فقالوا سلوه عن الروح ، فسألوه - فنزلت : "يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وماأوتيتم من العلم إلا قليلا" قالوا : أوتينا علما كثيراً . أوتينا التوراة ، ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيراً كثيراً ، قال : فأنزل الله . عز وجل : "قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا" (الكهف : ١٠٩)[2] .

لقد تبين من استقراء التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم ، أن الله تعالى قد خلق الانسان ، كما خلق غيره من المخلوقات والكائنات ، لتحقيق الهدف الأسمى من الوجود ، ألا وهو عبادة الله الخالق القدير ، قال تعالى : "وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (الذاريات : ٥٦) ، وذلك منذ أن أهبط الله أدم عليه السلام إلى الأرض ، ومنح ذريته القدرة على التناسل والتكاثر ، فأخذوه يتتابعون فى الحياة على الأرض ، جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرن، تخلف كل أمة منهم الأمم التى سبقتها ، والكل يقضى العمر المقدر له ، فى زمن الابتلاء والاختبار المحدد له ، فإذا انقضى الزمن غادر مقر الاختبار ، وظل فى انتظار البعث ، لتعلن له نتيجة أعماله ، ثم ليحاسب على هذه الأعمال وينال الجزاء المناسب لها . فكان معنى الاستخلاف فى التفسير بالمأثور هو تتابع الأجيال والأمم على الأرض ، ولم يقبل به غير هذا المعنى للاستخلاف .

---

(١) عن عبد الله بن مسعود (سنده) : "حدثنى وكيع قال ثنا الأعمش عن ابراهيم عن علقمه عن عبد الله بن مسعود" .
- الامام احمد بن حنبل : **المسند** ، مرجع سابق جـ ٥ ، رقم ٣٦٨٨ ، ص٢٥٤ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى قتيبه بن سعد قال ثنا يحيى بن زكريا عن داود عن عكرمة عن ابن عباس .
- الامام احمد بن حنبل : **المسند** ، مرجع سابق ، حـ٤ ، رقم ٢٣٠٩ ، ص٨٥ .

وبالنظر من خلال التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم إلى الطبيعة الانسانية ، يتضح أن الله سبحانه لم يترك الانسان دون تهيئة واعداد لدوره فى الحياة ومابعد الحياة ، بل وهبه كل مايلزمه ويعينه على أداء هذا الدور ، وخلقه مزوداً فى ذاته بكل الامكانات اللازمة له ، متداخلة فى تكوينه ، متكاملة فى كيانه ، تتبادل وظائفها فيما بينها ، لتعينه على العمل لتحقيق هدفه المحدد.

وكما بين التفسير بالمأثور أن الله قد ذكر الانسان فى أيات القرآن الكريم ككل بكيانه المتكامل وذلك بلفظه "انسان" ، كما ذكره بلفظة "نفس" وقصد بها الانسان ككل أيضاً .

أما النفس فكما ذكرها الله فى آيات القرآن الكريم بمعنى الانسان عامة ، فقد بين التفسير بالمأثور للأيات القرآنية ، أنها قد ذكرت بمعان أكثر خصوصية تخص ذوات معينة ، فخصت بها الذات الإلهية المقدسة فى بعض الأيات وقصد بها ذات آدم عليه السلام فى أيات أخر ، ثم ذكرت بمعنى الروح فى بعض الأيات والأيات والأحاديث النبوية .

وتناول التفسير بالمأثور لآيات القرآن الكريم مكونات الطبيعة الانسانية بالتعريف بها وبوظائفها ، على سبيل تكاملها وتبادلها الوظائف فيما بينها ، لا على سبيل الفصل بينها ، أو إظهار تعارض وظائفها ، أو تمييز وتفضيل أحدها على الآخر .

ومن ذلك ذكر الجسد كأحد مكونات الطبيعة الانسانية ، تدب فيه الحياة ، وتصدر عنه الحركة والحيوية ، ويحتاج للطعام والشراب ، وبين التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم ، أن الجسد محل الروح ، يكون صالحاً إذا سكنته الروح الصالحة، ويكون خبيثاً إذا كان فيه روح خبيث .

ويهلك الجسد إذا فارقته الروح فيصير بدناً لاحياة فيه ، والجسد ذكر فى القرآن الكريم بلفظه الجسد" و "البدن" ، كذلك ذكر بلفظة "الجسم" وكان ذلك فى موضعين يرتبطان بمعنى القوة البدنية .

وكان الحرص على سلامة أعضاء الجسم من الأمور الواجبة على الانسان، لأن الله سبحانه قد كرم هذه الاعضاء بذكرها فى أيات القرآن الكريم، فقد ذكرت العين والأذن والأنف والسن واليد

والرجل، كذلك ذكرت وظائفها كالبصر والسمع واللمس والمشى وغير ذلك، وبلغ تكريم هذه الاعضاء غايته بأن نصبها الله شهوداً على أعمال صاحبها يوم الحساب، تنطق بما يحاول تكذيبه أو التنصل منه .

وفى التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم تبين دور الطاقات العقلية الصادرة عن العقل الذى لم يذكر باسمه بل ذكر بأفعاله الصادرة عنه مثل تعقلون ، يعقلون ، وغيرها لتأكيد أهمية هذه الطاقات والأفعال فى الوصول بالإنسان إلى اليقين الكامل والإيمان الراسخ عن طريق إعمال العقل فى التفكر والتدبر والإدراك والفهم والعلم والتفقه ، وغير ذلك من الوظائف العقلية الحيوية ، فإذا أهمل الانسان هذه الوظائف ، وأوقف عقله عن العمل ، ولم يستغل ماوهبه الله من طاقات وقدرات تصدر عن هذا العقل ، يكون قد ضل ضلالاً مبيناً ، وتساوى بالبهائم التى لاتعى شيئاً ، بل كان أضل سبيلاً .

وذكر القلب فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم على عدة صور ومعان متكاملة ، تؤدى وظائفه، وتتبادل الوظائف مع سائر مكونات الطبيعة الانسانية ، فالقلب يقوم بوظائف العقل من علم وإدراك وظن ويقين وتفقه وغيرها، ويتسع محل القلب ألا وهو الصدر لتصدر عنه هذه الوظائف العقلية أيضاً ، ويذكر القلب كمحل للإيمان الصادق ، فإذا خلا القلب من الايمان كان قلباً مريضاً مغلقاً ، كذلك ذكر القلب بمعنى الذات الإنسانية ككل ، فى مواضع عدة بالتفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم .

أما الروح فقد اختلفت المفسرون الأوائل فى تحديد ماهيتها وطبيعتها ، وأورد التفسير بالمأثور معانى مختلفة فى تعريف الروح بالموضع الواحد فى نفس الأية ، ففسرت الروح بأنها من الله ، وبأنها جبريل ، وبأنها من الملائكة ، وأنها الوحى والقرآن والنبوة ، وبأنها بنو أدم ، وخلق كبنى أدم ، وبأنها الرحمة والفرج من الله وغير ذلك .

لقد تبين من خلال ذلك مدى الترابط والتكامل بين مكونات الطبيعة الإنسانية من المنظور الاسلامى ، ومدى تساويها فى الأهمية وعدم تفضيل مكون منها على الآخر ، بل كلها تتضافر فى العمل على تحقيق الهدف من وجود الانسان فى الكون الا وهو عبادة الخالق القدير .

ثالثاً : تكريم الإنسان فى التفسير بالماثور للقرآن الكريم :

"الله الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات" (غافر ٦٤) .. لقد جمعت هذه الأية الكريمة أبرز صور تكريم الإنسان فى الحياة الدنيا ، وفى ضوئها يمكن توضيح ذلك من خلال تناول كل جزء من أجزائها بالتفسير بالمأثور للقرآن الكريم..

١ - تمكين الإنسان من الإقامة على الأرض :

فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "الله الذى جعل لكم الأرض قراراً ".. قال أبو جعفر: "إذ جعل الله لكم الأرض التى أنتم على ظهرها سكان قراراً تستقرون عليها وتسكنون فوقها"(١).. وقال فى تفسير قوله جل ثناؤه "ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش" (الأعراف :٩) يقول تعالى: ولقد وطنا لكم أيها الناس فى الأرض وجعلناها لكم قرارا تستقرون فيها ومهادا تمتهدونها وفراشاً تفترشونها، وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها أيام حياتكم من مطاعم ومشارب نعمة منى عليكم"(٢). واختلف أهل العلم فى تفسير "مناكبها" فى قوله تعالى: "هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه" (الملك : ١٥).. عن ابن عباس قال جبالها، وعن قتادة مثله، بينما جاء عن مجاهد قال مناكبها طرقها وفجاجها، ويرى الطبرى أن القول فى جوانبها ونواحيها أولى القولين بالصواب لأنها نظير مناكب الإنسان التى هى من أطرافه"(٣) .

ومن نعم الله تعالى أن ألقى فى الأرض رواسى وهى جمع راسية وهى الثوابت فى الأرض من الجبال لئلا تميد بكم ، عن قتادة وعن الحسن عن قيس بن عباد :"أن الله تعالى لما خلق الأرض

---

(١) تفسير الطبرى : حـ٢٤ ، ص٥٢ .

(٢) تفسير الطبرى : حـ٨ ، ص٩٣ .

(٣) عن ابن عباس (سنده) "حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس .
عن مجاهد (سنده) : "حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن ابى نجيح عن مجاهد"
- تفسير الطبرى : حـ٢٩ ، ص٥ .

جعلت تمور قالت الملائكة ماهذه بقرة على ظهرها أحداً فأصبحت صبحاً وفيها رواسيها فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال . كذلك خلق الله للإنسان الأنهار والسبل، عن قتادة سبلاً قال طرقاً ، وقوله لعلكم تهتدون يقول كى تهتدوا بها إلي الأماكن والمواضع التى تريدون فلا تضلوا ولاتتحيروا ، وذلك فى التفسير بالمأثور لقوله جل ثناؤه "وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً" (النحل : ١٥) [١] .. وهذا كرم وتكريم من الله للإنسان على الأرض فإنه "هوالذى خلق لكم مافي الأرض جميعاً"(البقرة : ٢٩) وفى تفسيرها بالمأثور عن قتادة كان يقول : نعم والله سخر لكم مافى الأرض. [٢] .

فالله سبحانه وتعالى قد خلق الأرض فى صورة تلائم معيشة بنى أدم وجعل فيها سبل معيشته وأبنائه، وطلب من بني آدم أن ينطلقوا فى أرجائها سعياً إلى كسب الرزق ، الذى خلقه الله ويسره لبنى آدم ، وملأ أنحاءها به ، ليتمتع بنو آدم طوال حياتهم بنعم الله التى لاتحصى .

٢ - تسخير المخلوقات البعيدة عن متناول يده :

ومن صور تكريم الله للإنسان أن سخر له المخلوقات البعيدة عن متناول يده، لنفعه فقد جعل الله السماء بناء"(غافر : ٦٤) قال أبو جعفر : "بناها فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم وقوام دنياكم" [٣] وفى التفسير بالمأثور لقول الله تعالى : "وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم

---

(١) عن قتادة (سنده) : "حدثى بشر قال ثنى يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- **تفسيرالطبرى** : جـ١٤ ، ص٦٣ .

(٢) عن قتادة (سنده) : (نفس السند) .

- **تفسير الطبرى** : جـ١ ، ص١٤٩ .

(٣) نفس المرجع : جـ ٢٤، ص٥٢ .

الليل والنهار" (ابراهيم : ٣٣)، عن ابن عباس قال : دؤبهما فى طاعة الله وقوله تعالى "سخر لكم الليل والنهار "يختلفان عليكم باعتقاب إذا ذهب هذا جاء هذا بمنافعكم وصلاح أسبابكم فهذا لكم لتصرفكم فيه لمعاشكم وهذا لكم للسكن تسكنون فيه ورحمة منه بكم.(١)

وفي قوله تعالى : "وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً" (يونس / ٦٧) .. قال أبو جعفر الطبرى : "فهوالذى جعل لكم الليل وفصله من النهار لتسكنوا فيه مما كنتم فيه نهاركم من التعب والنصب وتهدؤا فيه من التصرف والحركة للمعاش والعناء، والنهار مبصراً وإنما يبصر فيه"(٢) .

والله تعالى : "هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب" (يونس : ٥): قال الطبرى : "فهو قد أضاء الشمس وأنار القمر وقدره منازل لايجاوزها ولايقصردونها على حال واحدة أبداً لتعلموا أيها الناس عدد السنين دخول مايدخل منها وانقضاء مايستقبل منها وحساب أوقات السنين وعدد أيامها وحساب ساعات أيامها.(٣)

وقال بعض أهل التأويل فى تفسير قوله تعالي :"والشمس والقمر حسباناً" (الأنعام : ٩٦) عن ابن عباس يجريان إلي أجل جعل لهما أى يجريان فى أفلاكهما بحساب.. وعن الربيع قال الشمس والقمر فى حساب إذا خلت أيامهما فذلك آخر الدهر وأول الفزع الأكبر ذلك تقدير العزيز العليم(٤).

---

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى خلف بن واصل عن رجل عن مقاتل بن حيان عن عكرمه عن ابن عباس"
- تفسير الطبرى : حـ١٣ ، ص١٤٩ .

(٢) تفسير الطبرى : جـ١١ ، ص٩٧ .

(٣) تفسير الطبرى : : جـ١١، ص٦٢ .

(٤) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى محمد بن سعد قال حدثنيأبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس"
عن الربيع (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع" .
- تفسير الطبرى : حـ٧ ، ص١٨٩ .

ومن أمثلة تفسير القرآن بالكريم بالقرآن " عن مجاهد والشمس والقمر حسباناً "قال هو مثل قوله تعالى : "كل فى فلك يسبحون" ومثل قوله: "والشمس والقمر بحسبان"(١) .

وكذلك خلق الله النجوم وجعلها لنفع الإنسان "وهوالذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر" (الأنعام : ٩٧) يقول أبو جعفر : "والله جعل لكم أيها الناس النجوم أدلة فى البر والبحر إذا ضللتم الطريق أوتحيرتم فلم تهتدوا فيها ليلاً، تستدلون بها على المحجة فتهتدون إلى الطريق والمحجة فتسلكونه وتنجون بها من الظلمات"(٢) ..

وكما قال تعالى : "وعلامات وبالنجم هم يهتدون" (النحل : ١٦) عن قتادة قال العلامات النجوم وأن الله تعالي إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات جعلها زينة للسماء وجعلها تهتدى بها وجعلها رجوماً للشياطين ،وقال مجاهد مثله .. بينما رأى آخرون مثل ابن عباس قال العلامات معالم الطريق وبالنهار وبالنجم هم يهتدون ليلاً ، وعن الكلبى قال : وعلامات قال الجبال . ورأى أبو جعفر الطبرى : "أن الأولى بتأويل الأية هو قول ابن عباس.(٣) . وهو أن العلامات معالم الطرق بالنهار، وفى الليل يهتدى الناس بالنجوم .

ومن المخلوقات البعيدة عن متناول يد الإنسان والتي سخرها الله لنفعه الرياح والسحاب "والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً" (فاطر : ٩) عن قتادة قال : يرسل الرياح فتسوق السحاب فيبسطه فى السماء ويجمعه كيف يشاء ويجعله قطعاً متفرقة حتى ترى المطر يخرج من بين السحاب(٤) .

---

(١) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد .
- تفسير الطبرى : حـ٧ ص١٨٨ .

(٢) تفسير الطبرى حـ٧، ص١٩٠ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .
عن ابن عباس (سنده): "حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى عن عمه قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس .
عن الكلبى (سنده) : "حدثنى محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبى .
- تفسير الطبرى : حـ١٤ ، ص٦٣ .

(٤) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .
- تفسير الطبرى: حـ٢٢ ، ص٧٩ .

وفى التفسير بالمأثور عن مجاهد يقول فإذا صرف الله ذلك الودق إلى أرض من أراد صرفه إلى أرضه من خلقه رأيتهم يستبشرون بأنه صرف ذلك إليهم ويفرحون . وذلك فى تفسير قوله تعالي : "والله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون" (الروم : ٤٨)[١] .

لقد بلغ تكريم الله للإنسان أن سخر له ولنفعه ماليس فى متناول يده من المخلوقات، فالسماء فيها نفعه، والشمس والقمر ينيران الكون نهاراً وليلاً ، وتوصل الإنسان إلى حساب السنين باختلاف صور القمر خلال الشهر، والنهار والليل يتعاقبان، فيهما استمرار الحياة، ففى النهار يكون السعى والعمل وفي الليل الراحة والهدوء، والنجوم منافعها كثيرة فهى زينة للسماء وهداية للسائرين ورجوماً للشياطين، والرياح تسوق السحاب لينزل المطر حيث يشاء رب العالمين فتحيا الأرض وتنبت النباتات المختلفة والزهور الجميلة وترتوي المخلوقات كلها .

٣ - تكريم الإنسان فى ذاته :

"وصوركم فأحسن صوركم" (غافر : ٦٤) لقد بدأ تكريم الإنسان فى ذاته منذ بداية الخليقة وذلك بالتنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه، فأخبر الله تعالى أنه خاطب الملائكة قائلاً لهم "إنى جاعل فى الأرض خليفة" (البقرة ٣٠) ، ثم قال : "فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين" (الحجر ٢٩، ص٧٢) ،وعلم آدم الأسماء كلها" (البقرة : ٣) فهذه أربع تشريفات للإنسان : خلقه الله بيده الكريمة ،ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وعلمه أسماء الأشياء، ولهذا قال له موسى الكليم حين اجتمع وإياه فى الملأ الأعلى وتناظرا: أنت آدم أبو البشر الذى خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ"[٢].

---

(١) عن مجاهد ،سنده) : "حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبى نجيح عن مجاهد .

- **تفسير الطبرى** : حـ٢١، ص٣٥ .

(٢) **ابن كثير** : البداية والنهاية ، مرجع سابق ، حـ١، ص٨٤ .

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالي : "ولقد كرمنا بني آدم" (الإسراء : ٧٠) . عن زيد بن أسلم : قالت الملائكة يارب انك أعطيت بنى أدم الدنيا يأكلون منها ويتنعمون ولم تعطنا ذلك فأعطنا فى الآخرة ، فقال وعزتى لاأجعل ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فيكون.(١) .. فآدم كرم بخلقه بيد الله تعالى، وبنوا آدم كرموا بأنهم ذرية آدم ، وبالنعم التي أنعم الله بها عليهم .

وكرم الله الإنسان بخلقه في أحسن صورة : قال تعالي : "لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم" (التين : ٤) عن قتادة قال وقع القسم ههنا، أى هى جواب القسم" والتين والزيتون وطورسنين وهذا البلد الأمين"، وعن ابن عباس "فى أحسن تقويم" قال فى أعدل خلق وأحسن صورة ، وذكر عن قتادة وابراهيم وأبى العالية مثله.(٢).

ومما ذكر فى التفسير بالمأثور عن خلق الإنسان فى أحسن صورة " عن ابن عباس قال : خلق كل شئ منكباً علي وجهه إلا الإنسان. والمعنى فى أحسن تعديل شكلاً وانتصاباً.(٣).

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "الذى خلقك فسواك فعدلك" (الانفطار :٧) ، قال الطبرى: "اختلف القراء فى قراءة فعدلك فقرأته عامة المدينة ومكة والشام والبصرة فعدّلك بتشديد الدال، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بتخفيفها ،وكأن من قرأ بالتشديد وجه معنى الكلام إلى أنه جعلك معتدلاً معدل الخلق مقوماً،وكأن الذين قرؤه بالتخفيف وجهوا معنى الكلام إلي صرفك أو أمالك إلى أى صورة شاء: إما إلى صورة قبيحة، أو إلى صورة بعض قراباته ، ثم يقول الطبرى : "وأولى الأقوال أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى.(٤)

---

(١) عن زيد بن أسلم (سنده) : "حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم" .
- تفسير الطبرى : حـ١٥، ص٨٥ .

(٢) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .
عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو قال ثنا عاصم عن ابن أبى رزين عن ابن عباس.
- تفسير الطبرى : حـ ٣٠، ص١٥٦ .

(٣) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن عكرمه عن ابن عباس" .
-تفسير الطبرى :نفس المرجع : جـ ٣٠ ، ص١٥٦ .

(٤) تفسير الطبرى : جـ ٣٠، ص٥٥ .

وفى تفسير قوله تعالي "فى أى صورة ماشاء ركبك" (الانفطار : ٨): عن مجاهد فى أى شبه أب أو أم أو خال، أو عم، وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سأل رجلاً: ماولد لك؟ قال : يارسول الله . ماعسى أن يولد لى إما غلام وإما جاريه قال : فمن يشبه ؟ قال : يارسول الله : ماعسى أن يشبه إما أباه وإما أمه فقال النبى صلى الله عليه وسلم عندها مه، لاتقولن هكذا، إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضر الله كل نسب بينها وبين أدم، أما قرأت هذه الأية فى أى صورة ماشاء ركبك"(١).

وكما كرم الله الإنسان بحسن خلقه واعتدال صورته فقد أنعم عليه بالحواس المعروفة ، "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة" (النحل : ١٨)، قال الطبرى : "يقول الله تعالى ذكره والله تعالي أعلمكم مالم تكونوا تعلمون من بعد ماأخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعقلون شيئاً ولاتعلمون ، فرزقكم عقولاً تفقهون بها وتميزون بين الخير والشر وبصركم بها مالم تكونوا تبصرون، وجعل لكم السمع الذى تسمعون به الأصوات فيفقه بعضكم عن بعض ماتتحاورن به بينكم ،والأبصارالتي تبصرون بها الأشخاص فتتعارفون وتميزون بها بعضاً من بعض، والأفئدة يقول القلوب التى تعرفون بها الأشياء فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها، ثم يقول أبو جعفر : "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً كلام متناه ثم ابتدئ الخبر فقيل وجعل الله لكم السمع والأبصار والأفئدة ، وإنما قلنا ذلك كذلك "لأن الله تعالي جعل لعباده السمع والأبصار والأفئدة قبل أن يخرجهم من بطون أمهاتهم، وإنما أعطاهم العلم والعقل بعدما أخرجهم من بطون أمهاتهم. (٢)

---

(١) عن مجاهد (سنده): "حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبى نجيح عن مجاهد" وعن النبى صلى الله عليه وسلم (سنده) : "حدثنى محمد بن سنان القزاز قال ثنا مظهر بن الهيثم قال حدثنا موسى ابن على بن أبى رماح اللخمى قال حدثنى أبى عن جدى عن النبى صلى الله عليه وسلم .

- تفسير الطبرى : حـ ٣٠ ، ص٥٦ .

(٢) تفسير الطبرى : جـ١٤ ، ص١٠٢ .

فالله سبحانه وتعالى قد كرم الإنسان بأن جعله من ذرية آدم عليه السلام الذى شرفه الله بأربع تشريفات : فقد خلقه بيده الكريمة ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة بالسجود له .

وكرم الله الإنسان بخلقه فى أحسن صورة وأعدلها، فقد خلق الله كل شئ منكباً على وجهه إلا الإنسان ، وجعل فى صورته شبهاً من أهله علي امتداد نسبه إلى آدم عليه السلام .

وكما كرم الله الإنسان بحسن خلقه واعتدال صورته ، فقد أنعم عليه بالحواس من سمع وأبصار وغيرها، بما زود به جسم الإنسان من أعضاء تصدر عنها هذه الحواس" وتتكامل كلها فى خلق الإنسان فى أحسن صورة .

وكان تكريم الله للإنسان عاماً وشاملاً نوعية الرجل والمرأة فلم تقتصر علي نوع منهما ولم يفضل أحدهما على الآخر سواء فى الدنيا والآخرة .

ومن صور تكريم الله للإنسان المساواة بين نوعيه الذكر والأنثى فكان تكريمه سبحانه وتعالى للإنسان شاملاً الرجل والمرأة ، ولم يقتصر على نوع منهما، ولم يفضل أحدهما علي الآخر سواء فى الدنيا والآخرة .

ومن ذلك المساواة بين المؤمنين والمؤمنات فى التبشير بالثواب ودخول الجنة قال تعالى : "ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب" (غافر ٤٠) و "ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيراً" (النساء : ١٢٣) قال أبو جعفر : " "يعنى بذلك جل ثناؤه الذين قال لهم" ليس بأمانيكم ولاأمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يجز به ولايجد من دون الله ولياً ولانصيراً" (النساء : ١٢٢) يقول الله لهم إنما يدخل الجنة وينعم فيها فى الآخرة من يعمل من الصالحات من ذكوركم وإناثكم وذكور عبادى وإناثهم"[1] .

---

(١) تفسير الطبرى : جـ٥ ، ص١٩٠ .

ومما ورد فى التفسير بالمأثور عن المساواة بين المؤمنين والمؤمنات فى حق الميراث فى الدنيا كما ساوى بينهم فى الجزاء والثواب فى الآخرة عن قتادة قال : كان أهل الجاهلية لايورثون المرأه شيئاً ولا للصبى شيئاً وإنما يجعلون الميراث لمن يحترف وينفع ويدفع ، فلما لحق للمرأة نصيبها وللصبى نصيبه وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين قالت النساء لو كان جعل أنصباءنا فى الميراث كأنصباء الرجال ، وقال الرجال إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا فى الآخرة كما فضلنا عليهن فى الميراث فأنزل الله تعالى : "للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن (النساء: ٣٢) يقول المرأة تجزى بحسنتها عشرة أمثالها كما يجزى الرجل.[١]

٤ - إيجاد الرزق وتذليل مصادره :

"ورزقكم من الطيبات" (غافر : ٦٤) فقد بسط الله الأرض للإنسان وسخر له مافيها من الرزق "والأرض وضعها للأنام ، فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ، والحب ذو العصف والريحان" (الرحمن ١٠ : ١٢) قال أبو جعفر الطبرى : فالأرض وطأها للخلق ، عن ابن عباس قوله للأنام قال كل شيىء فيه الروح ، وفى الأرض الفاكهة والنخيل المتكممة فى ليفها والحب ذو العصف ، عن الضحاك قال الحب : البر والشعير ، والعصف : التبن ، وعن ابن عباس قال العصف ورق الزرع الأخضر الذى قطع رؤوسه فهو يسمى العصف إذا يبس ، وعن مجاهد وقتادة مثله ، فالفاكهة مايأكله الإنسان والتبن ماتأكله الأنعام.[٢] وهذا مثل قوله جل ثناؤه "وفاكهة وأبا متاعاً لكم

---

(١) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : جـ٥ ، ص٣١ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاويه عن على عن ابن عباس"

عن الضحاك (سنده) "حدثنى ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن الضحاك" .

- تفسير الطبرى حـ ٢٧ ، ص٧٠ .

ولأنعامكم" (عبس : ٣١) ، فالفاكهة مايأكله الناس ، والآب ماتأكله الأنعام عن ابن عباس قال: الأب الكلأ والمرعى كله[١] .

"أما الريحان" (الرحمن ١٢) فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم فهو الرزق ذاته ، عن ابن عباس قال كل ريحان فى القرآن فهو رزق ، وعن مجاهد والضحاك مثله ، وقال آخرون أنه الريحان الذى يشم ، ورأى أبو جعفر أن الأولى بالصواب قول من عنى به الرزق ، إذ سمع عن العرب تقول خرجنا نطلب ريحان الله ورزقه ويقال سبحانك وريحانك أى ورزقك .[٢]

وعلى الأرض خلق الله الإنسان ، ويسر له سبيل الرزق من طعام وشراب ، له ولأنعامه التى خلقها الله ، وسخرها لنفعه أيضاً، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون" (النحل : ٥) عن مجاهد - يعنى بالدفء الثياب وبالمنافع قال نتاجها وركوبها وألبانها ولحومها ، وعن ابن عباس وقتادة مثله"[٣] .

ومن صور تذليل الرزق للإنسان أن خلق الله الماء وجعله سبباً للحياة والرزق فمنه يشرب الناس وتشرب أنعامهم ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون" (النحل : ١٠) ، قال أبو جعفر : "فمن ماء المطر تشربون ومنه شراب أشجاركم وحياة غروسكم ونباتها وشراب أنعامكم، عن عكرمة: فيه تسيمون قال ترعون[٤].

---

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن ابيه عن ابن عباس"
- تفسير الطبرى : حـ ٣٠ ، ص٣٨ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى زيد بن أخزم الطائى قال ثنا عامر بن مدرك قال ثنا عتبة بن يقظان عن عكرمة عن ابن عباس" .
- تفسير الطبرى : حـ ٢٧ ، ص٧٢ .

(٣) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد" .
- تفسير الطبرى : جـ ١٤ ، ص٥٥ .

(٤) عن عكرمة (سنـده) : "حدثنى أحمد بن سهيل الواسطى قال ثنا قرة بن عيسى عن النضير بن عربى عن عكرمة" .
- تفسير الطبرى : جـ ١٤ ، ص٥٩ .

وبالماء تحيا النباتات والجنات "وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وإنّا على ذهاب به لقادرون ، فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون" (المؤمنون : ١٨ ، ١٩) ، قال أبو جعفر : "يقول تعالى ذكره فأحدثنا لكم بالماء الذى أنزلناه من السماء بساتين من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومن الفواكه تأكلون ، وخص جل ثناؤه الجنات التى ذكرها فى هذا الموضع فوصفها بأنها من نخيل وأعناب دون وصفها بسائر ثمار الأرض ، لأن هذين النوعين من الثمار كانا أعظم ثمار الحجاز وماقرب منها فكانت النخيل لأهل المدينة ، والأعناب لأهل الطائف، فذكر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم.[١]

وكما نزل الماء من السماء بالرزق للإنسان فقد أنعم الله على الإنسان بالرزق من مياه الأنهار والبحار ، ففى التفسير بالمأثور عن مجاهد فى قوله "وسخر لكم الأنهار" (ابراهيم : ٣٢) قال : بكل بلدة [٢] . وعن قتادة فى قوله تعالى "وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله" (النحل ١٤) قال يعنى حيتان البحر ، وقال أبو جعفر" "البحر هو كل نهر ملحاً كان ماؤها أو عذباً لتأكلوا منه لحماً طرياً هو السمك .. وعن مجاهد "ولتبتغوا من فضله" قال تجارة البر والبحر.[٣] ويتضح هذا بقوله تعالى : "ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً" (الإسراء: ٧٠) ، فالله سبحانه وتعالى سخر للإنسان المخلوقات التى فى متناول يده لتكون مصادراً لرزقه ولحياته على الأرض .

---

(١) تفسير الطبرى : جـ١٨ ، ص١٠ .

(٢) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعاً عن ابن أبى نجيح عن مجاهد" .
- تفسير الطبرى : جـ١٣ ، ص١٤٩ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .
عن مجاهد (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن ابى نجيح عن مجاهد" .
- تفسير الطبرى : حـ١٤ ، ص٦١ ، ٦٢ .

والأرض مهدها الله وجعلها صالحة للزراعة ليعمل بها الإنسان، وينعم بما تخرجه من فواكه ونخيل وقمح وشعير ورزق كثير ، قال تعالى : "وأية لهم الأرض الميتة احييناها وأخرجنا منه حباً فمنه يأكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ، ليأكلوا من ثمره وماعملته أيديهم أفلا يشكرون"(يس : ٣٣ : ٣٥) .

ومن هذا الرزق الكثير الذى يحصل عليه الإنسان بعمله فى الزراعة أو غيرها ، يأكل هو وأنعامه ، التى يربيها لينتفع منها أيضاً منافع كثيرة ، فهو يطعم لحومها ، ويشرب ألبانها ، ويصنع من أجزائها المختلفة ماينفعه فى معاشه وأرديته واكسيته وأغطيته .

كذلك سخر الله للإنسان الماء من مصادره المختلفة ، فماء المطر أنزله الله من السماء إلى الأرض ؛ لتحيا بإذنه ، وتخرج من خيراتها الكثير ، قال تعالى : "وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم" (البقرة : ٢٢) .

وماء الأنهار والبحار التى يستخرج منها الإنسان الأسماك والأطعمة البحرية المتنوعة ، وينتقل على سطحها من مكان إلى مكان فى أرجاء المعمورة سعياً وراء الرزق والطيبات التى أتاحها الله له ، قال تعالى : "هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور" (الملك : ١٥) ..

إن المجال فى تكريم الله للإنسان ليتسع بصورة لايمكن تحديدها ومواطن هذا التكريم من الكثرة بحيث لايمكن حصرها ، وماسبق ذكره فى هذا المجال من تمكين الانسان من الإقامة على الأرض، وتسخير المخلوقات البعيده عن متناول يده ومن خلقه فى أحسن صوره وإيجاد الرزق وتذليل مصادره ، كان ذلك كله فى ضوء أية واحدة من أيات القرآن الكريم التى زادت عن الستة ألاف أية ، هى الأية ٦٤ من سورة غافر : "الله الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات" .

وقد اتضح مما سبق ماحواه القرآن الكريم من خلال التفسير بالمأثور من مبادئ أساسية عن الطبيعة الإنسانية ، منذ أن خلق الله الإنسان على الأرض التى هيئها لمقامه وتتابع أجياله، وهذا

مايوضح مفهوم الخلافة فى التفسير بالمأثور القرآن الكريم، إذ اقتصر على معنى استخلاف اللاحقين للسابقين والخلف للسلف، ولم يقبل به أن تكون الخلافة بمعنى سكنى الأرض وتعميرها .

تناول التفسير بالمأثور للقرآن الكريم التعريف بمادة وكيفية خلف آدم وحواء وبيّنهما، وطريقة تناسل بنى آدم ، ومرحلة نمو الجنين منهم، ومرحلة نمو الإنسان المكتمل بعد ولادته، موضحاً الأطوار التى يمر بها فى كلا المرحلتين، والتى تعكس فى أروع صورة قدرة الله تعالى وإعجاز خلقه للإنسان، ثم تقديره تعالى لحياة الإنسان ورزقه إلى أن تحين وفاته وقد سجلت أعماله التى قام مختاراً بعد أن اتضحت أمامه معالم الطريق .

أما عن طبيعة النفس الإنسانية فقد وضح التفسير بالمأثور للقرآن الكريم أنها فى الإسلام كل متكامل، لافصل ولاتفضيل بين مكوناتها، وهى مكونات متكاملة تعين بعضها البعض فى أداء وظيفة الإنسان فى الحياة وتحقيق الهدف من وجوده بها .

فالجسد مكرم من الله فقد أودعه باقي مكونات الذات الإنسانية ، اهتم الإسلام بالجسد ودعا إلى الحرص علي صونه وسلامة أعضائه ، وربط بين سلامته وسلامة باقى المكونات، وبلغ من تكريم الله له أن جعل أعضاءه شهوداً على صاحبها يوم الحساب .

والعقل لم يذكر كجزء مادى من مكونات الطبيعة الإنسانية وإنما ذكر كمفاعل يفجر الطاقات العقلية فى الإنسان من فكر وعلم وإدراك وتعقل حتى بلوغ الحقيقة ، فكانت مخاطبة العقل وسوق البراهين العقلية هى وسيلة الإسلام لتحقيق الاقتناع بالدين واليقين بالله ، وتغلغل الإيمان فى القلب وكان هذا موطناً من مواطن تميز الإنسان على سائر المخلوقات .

والقلب أية من أيات معجزة خلق الإنسان، فهو مركز الإيمان ومحل رسوخ اليقين، ويوضح التفسير بالمأثور للقرآن الكريم أن القلب قد ذكر فيه بعدة معان، فقد قصد به فى بعض الأيات معناه المادى كجزء من أجزاء الذات الإنسانية ومكون من مكونات طبيعتها، ويكون القلب مسوداً مغلقاً ومقفلاً لدى الكافر الذى لم يفقه ولم يعقل، فإذا آمن صقل قلبه وزال عنه كل ماكان يغطيه

من سواد، وذكر القلب فى مواطن أخرى بمعنى العقل وكمصدر للوظائف العقلية من تفكر وتعقل، وبعض أيات جمعت ذكر القلب بهذين المعنيين، وفى أيات قرآنية أخرى ذكر القلب بمعنى النفس والذات الإنسانية كلها .

وأما الروح المكون الرابع من مكونات الطبيعة الإنسانية فقد أثبت جمع وتحليل الأقوال المأثورة في تفسير معظم الأيات التى تناولته بالذكر ، أن الاختلاف قد وقع بين المفسرين فى تعريف الروح ، ويعد هذا الاختلاف دليلاً مؤكداً على احتجاب هذا السر الذى اختصه الله لنفسه، كما فى قوله تعالى : "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" (الإسراء : ٨٥) .

وكما كرم الله الإنسان فى خلقه بهذه المكونات التى نال كل منها حظاً كبيراً من الاهتمام والرعاية فى الإسلام، فإن الله قد كرم الإنسان في حياته على الأرض بعد أن خلقه فى أحسن صورة وأعدلها، فقد مكنه من الإقامة على الأرض، وسخر المخلوقات لنفعه القريب منها والبعيد عن متناول يده، وأوجد له الرزق وذلل له مصادره المختلفة من الماء بكل موارده ، والنباتات بكل أنواعها، والأنعام بكل منافعها .

ويوضح التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم أن هذا التكريم الالهى لم يكن قاصراً على جنس معين من بنى آدم ،أى لم يكن قاصراً على الرجال فقط، بل إن المؤمنات الصالحات كان لهن حظ كبير فى هذا ، فقد ساوى بينهم وبين الرجال فى الثواب والجزء فى الآخرة، وفى الحق فى الميراث فى الدنيا، وكان تكريم الله للإنسان شاملاً نوعية : الذكر والأنثى، ولم يفضل أحدهما علي الآخر ، كما فعلت بعض المجتمعات وبعض الفلسفات .

وهكذا تبين أن ماحواه القرآن الكريم من مبادئ أساسية عن الطبيعة الإنسانية يعد نبعاً جارياً فياضاً يستمد منه الفكر التربوى أسسه ومنطلقاته وتساعده على التنظير للتربية وتحديد أهدافها ، فقد كان للفكر الإسلامى عطاؤه فى الفكر التربوى، وتأثيراته المختلفة والمتنوعة لأنه كان رباني المصدر فلم يكن يعنى تحرر الروح من الجسد ولاتحليق الإنسان فى آفاق الروحية، لأن ذلك

على نقيض الفطرة التى فطر الله الناس عليها، كما لم يخلق منه إنساناً مادياً لايحترم فيه إلا عقله، ولم ينصب اهتمامه على جانب دون آخر من جوانب الطبيعة الإنسانية ومكوناتها .

وإنما تميز الفكر الإسلامى بالوسطية والتوازن والشمول فحوى الروح والمادة كليهما، والإنسان والطبيعة، والطبيعة وخالق الطبيعة ، كما تميز بالنزعة الإنسانية التى تهدف إلى السمو بالإنسان وتحريره من كل ألوان العبودية إلا لله عز وجل، وأعطته كافة الإماكانات والصلاحيات للعمل الإنساني الفعال ، فاستطاع المسلم أن يفكر ويبتكر وينفذ فى رحاب المصادر الأساسية للدين التى كانت تساعده على استكمال حرية التفكير ،والتخلص من جمود العقل والإكراه والعسف .

فجمع الفكر الإسلامى بفضل هذا التوازن والتكامل بين القوى الإنسانية المختلفة فأنتج فكراً ونظاماً تربوياً ، أنتج بدوره انساناً ومجتمعاً ، انتجا فى النهاية حضارة عظيمة قامت على أسس من العلم والتربية الإسلامية، وهذا ماتوجه بالدراسة إلى البحث عن العلم والتربية فى الإسلام من خلال التفسير بالمأثور للقرآن الكريم .